

عالمية



روایات

# السناء الحمراء





روايات

عالمية

---

العدد رقم ٢٧٠



# الاسرار

تأليف:  
الروائي الفرنسي الكبير

جورج سيمون

---

ترجمة:

عبد المنعم صادق



## الجزء الأول

### الفصل الأول

قرقع الزناد هذه المرة عندما اضاف لعبة الساعة السحرية الى بعبة حلقات الفقير وزهر الطاولة المتحرك دون ان يعلق أهمية خاصة على هذه الاضافة التي لم يذكرها ضمن برنامج الخصاص بهذا الحفل ، فقد كان من عادته حتى في حفل قليل الأهمية مثل هذا الحفل ان يضيف بعض النمر الزائدة حتى يُستطيع ان يجرى بعض التغييرات طبقا لتأثير ذلك في الجمهور .

ومضت الأمور على مايرام ، وقد سبق له ان حضر الى بورج لارين قبل ذلك لتقديم مثل هذا الحفل منذ احد عشر أو اثني عشر عاما - قبل جولي - ولكن القاعة كانت مختلفة عن هذه ، بل ان الشارع قد تغير والبيوت المجاورة تغيرت الى درجة ماكاد معها يعرف شيئا منها ، وكان قد قيل له : ان الحفل سيبدأ في تمام الساعة التاسعة فوصل في الثامنة قادما بالسيارة العامة حاملا معه معداته ومعطفه في حقيبتين .

وكانوا قد وضعوا الاعلانات الكبيرة عنه على جانبي الباب . . . والقي نظرة سريعة عاجلة عليها في ذلك الجو البارد الشبيه بالمظلم انها الاعلانات نفسها منذ عشرين عاما ، وكنت تستطيع وانت في المعمر الداخلي سماع الأصوات التي في القاعة الفسيحة حيث المقاعد بالية غير متجانسة وحيث الاضاءة باهتة .

وكان متعودا ذلك كما كان متعودا معرفة كبار أعضاء اللجنة بين عامة الناس فور رؤيتهم وقد احاطت الأشرطة بأذرعهم . وادخلوه الى الكواليس ، ولم يكن المسرح في الحقيقة سوى منصة يصعد اليها المرء بدرجة واحدة ، أما مؤخرة المسرح فلم يزد اتساعها على ثلاث أقدام بين الستار الخلفي والحدار .

واعتذر له عضو اللجنة قائلا :

« ليس المسرح مريحا واذا كنت في حاجة الى شيء فوجه نظرك الى وسيبدأ الجزء الأول حالا » .

وكان الرجل متوتر الاعصاب . وكان جميع السادة أعضاء اللجنة ذوي الأشرطة المحيطة بأذرعهم - يروحون ويفدون ويتدخلون فيما

لايعنيهم ويوجهون أسئلتهم فى صياح هنا وهناك على حين أن الجمهور ينتظر فى المقاعد .

ومضى ربع ساعة وسمعت دقات المسرح التقليدية الثلاث اذ دق بعضهم خشبة المسرح بمطرقة ثلاث مرات ، ثم سمعت بعض عبارات موسيقية من البيانو الذى رددت جدران القاعة العارية انغامه الغليظة .

- سيداتى وساداتى اعضاء النادي : يشرفنى أن أقدم لكم الليلة ..

ولم يكن من عادة أنطوان أن يغير بنظونه لأنه كان دائما يخرج من بيته مرتديا البنطلون الاسود ، ولكنه كان وقتئذ بين الستارة الخلفية والجدار منهكما فى تثبيت صديرية منشأة فى مقدمة قميصه وهو وحده واثق من نفسه ، فلم يكن فى حركاته عجلة بل كان يعمل على مهل وبدقة بالغة ، وكان عقله الباطن وحده هو الذى يسجل ما يحدث فى الجانب الآخر من المسرح .

وعاد البيانو يعزف من جديد وأخذ أحد الممثلين فى الغناء على حين كان أنطوان يجعل ملابسه بالهيئة التى تتطلبها العابه .. وقد قام أنطوان بهذه الاجراءات مائتين أو مائتين وخمسين ليلة سنويا منذ عدد كبير من الأعوام الى حد اصبحت معه هذه الحركات اوتوماتيكية تععب كل منها الأخرى فى نظام محكم .

وفك منضدته ذات السيقان المغطاة بالنيكل وذات الفطاء المخمل الاحمر المطرز بحرف «أ» المذهب .

ولما انتهى الممثل من غنائه أطل عضو اللجنة برأسه عليه وقال :

- هل أنت فى حاجة الى شيء ؟ .

- اشكرك ، لست فى حاجة الى شيء .

ولم يترك شيئا للظروف فوضع فى جيوبه كل الأدوات اللازمة لكل لعبة من العابه وكذلك وضع بعض الأدوات فى الفراغات الخفية من المنضدة . وكما هى عادته أضاف الأدوات الخاصة بلعبتين أو ثلاث .

ولم يكن فى نيته أن يقدم لعبة الساعة ، فقد كانت هذه اللعبة محفوفة بالخطر ، لأن استدعاه أحد المتفرجين للاشتراك معها فيها كان أحيانا يفسد اللعبة ، وهى تعتمد على وسط المتفرجين وعلى



الجو السائد ، فبعض الشبان يطو لهم أن يبينوا لرفاقهم انهم لا يخدمون أبدا ، فقد حدث في أثناء حفل اقامه انطوان في احدى القرى ان أنتزع جزار غطاء المنضدة فجأة وانفجر ضاحكا اذ كشف ذلك الجيب من الفلين وفيه الأراب الحية .

وبدأت فتاة تغنى بين مجموعة من الفتيات ، وكان انطوان المحترف الوحيد في البرنامج ، أما الجزء الأول من هذا البرنامج فقد قدمه أعضاء النادي .

وأخيرا عزف غلام نابغ على الكمان ، وكان الفلام في الثامنة أو التاسعة من عمره ، وأعقب ذلك صوت أحذية المتفرجين على الأرض الخشبية بالقاعة ، وصرت المقاعد المتحركة اذ يبرحها الجالسون عليها فكان ذلك ابداً ببدء فترة الاستراحة .

– الا تشرب كأساً؟ .

– نعم وأشكرك . . .

– أظنك لا تشرب الا بعد الانتهاء من تقديم العاك .

– انا لا اشرب الخمر اطلاقاً .

وكان صادقاً ، وكانت الحقيقة اكثر تعقيداً ، ولكنه اساساً لم يكن كاذباً ، وجاء بعض الصبيان وبعض الرجال وبعض النساء واطلوا عليه من وراء الستار الخلفى عن كئيب ليروه وهو جالس الى منضدته الصغيرة بربطة عنقه البيضاء وهو على أهبة الاستعداد تماماً ماعدا أنه لم يكن قد وضع بعد على وجهه القناع الأسود الصغير ، فهل أدهشهم ان يجدوا وجهه كوجه أى شخص آخر ، أو لانه كان اكبر سناً مما تدل عليه صورته في الإعلانات؟ .

وكان قد وضع على وجهه المكياج الخفيف الذى تعودته فى قاعات كهذه . وكان قد ألف تحديق الأنظار فيه فلم يعد ذلك يرهبه أو يربكه بل ظل جالساً جلسة طبيعية يدخن سيجارته وقد وضع ساقاً فوق أخرى .

وتستمر فترة الاستراحة دائماً فى مسارح الهواة وقتاً أطول منها فى المسارح الحقيقية ويحد المنظمون صعوبة فى إعادة الناس الى مقاعدهم .

– أبدا أنت يا لويس فأعد اسرتك الى مقاعدها وسأخرج انا لإعادة

الآخرين .

ولم يسمح لأحد بمساعدته فى حمل منضدته من مؤخرة المسرح ، وانتظر حتى كفوا جميعا عن السعال وعن تحريك أقدامهم وأيديهم وابتسم من وراء قناعه المخملى وأخيرا قال :

- سيداتى وسادتى ، سيكون لى الشرف . . .

واستطاع ان يرى الوجوه فى هذه الاضاءة الشاحبة التى لم تستطع محو تفصيلات تلك الوجود بل اكدتها وأبرزتها وكان فى استطاعته بعد ذلك ان يذكر مميزات كل وجه ، وفى آخر القاعة كان بعض الرجال واقفين حول بار من الواح خشبية وضعت فوق حمالات متنقلة ، وكان أحيانا يسمع صوت فتح زجاجة بيرة ، ولم يكن لهذا الصوت ولا لمنظر الزجاجات تأثير عليه وهى الزجاجات الطويلة ذات السمرة القبيحة مما يقدم فى النسواى وكذا فى الاحتفالات الشعبية .

وكان قد قال لجولنى .

- انه سيعود اليها عند منتصف الليل على الاكثر . وذلك عندما صاحبته حتى رأس السلم كعادتها دائما ولفت الشال حول عنقه وقالت له .

- حذار من البرد .

- نعم .

وقبلته ، ولما اخذ يهبط السلم وحقيبتاه بيديه همست له قائلة :

- انطسوان . . .

- ماذا ؟ .

وكان واقفا على الدرجة الثالثة أو الرابعة من السلم رافعا رأسه نحوها ورأى برغم ضعف الضوء شفتها ترتعش وهى تحاول الابتسام فى شجاعة وتقول :

- لاشىء ، امض ، حالا .

وبدا بالألعاب الصغيرة السهلة ذات التأثير الكبير مثل العصا السحرية وأنفاس الساحر والمناويل الحريرية الثلاثة ، ولم يتكلم كثيرا اذ لم يكن من أولئك السحرة الذين يزينون ألعابهم بالكلام أو بالنكات .

وكانت يدها البيضاوان الطويلتان تقومان بمهمة الكلام ، وكانتا

- وقد شمرنا الى مافوق المعصمين وهما تتحركان - تبدوان وكانهما  
لهما حياتهما الخاصة بهما ، ولم تؤديا واجبهما على اتم وجه وذلك  
بسبب ضعف الاضاءة ، تلك الاضاءة التي لاتتوافر كما يجب الا في  
المسارح المدة اعدادا كاملا ، وبالرغم من ذلك استطاع أن يرى كل  
الاعين وهي مركزة على يديه وحركاتهما .  
- انى آخذ هذه الحلقة ثم هذه الحلقة الثانية هكذا ثم ...  
وانتم يداه بقية الكلام وأعقب ذلك انبهار الأنفاس وضجة  
الضحك وموجة التصفيق والاستحسان .

لماذا قرر فجأة ان يدخل لعبة الساعة السحرية بين لعبتين كان  
قد ادهما من قبل ؟ لم يكن لذلك سبب غير الرغبة فى اسعاد  
الحاضرين لانهم كانوا ظرافا مبتهجين فى جلستهم وهم مرتدون افخر  
ثيابهم .

- هل يتفضل احد السادة من الحاضرين بالصعود الى المسرح  
واعارنى ساعته ؟ .

وكان رد الفعل تلقائيا ، اذ التفت الجمهور مرة واحدة الى الصف  
الخلفى ، واستطاع من سماعه الأسماء التى نودى عليها او همس  
بها ان يعرف أشهر الشخصيات بين الحاضرين ، وتركزت النداءات  
والهمسات والاشارات على فتى فى أوائل الحلقة الثالثة من عمره وهو  
مضطجع الى البار وبيده زجاجة بيرة .  
- تعال يا أوجين ! .

وهز رأسه باسمه وقال عبارة لم يمكن سماعها وفى النهاية سمع  
لنفسه بأن يدفعه الآخرون الى الأمام وهو يهز كتفيه .

وقال وهو يتعثر فى الصعود الى المسرح « هل هناك بأس  
لو انها كانت ساعة ذهبية ؟ .

ووقف على المسرح مواجهها الجمهور واستمر فى ترنحه وانشان  
بعينه لأصدقائه .

كان هذا عندما قرع الزناد بقباء لأول مرة خلال ثلاثة أسابيع  
انقضت بعد رحلته الى مدينة الهافر حيث حدث مثل هذا وتحاشى  
هو وجولى ذكره او حتى مجرد التفكير فيه منذ ذلك الحين ، وأخرج  
الشباب ساعة من جيب صديريته وهى ساعة ذهبية كبيرة لابد أنها

كانت لآبية أو حتى لجده من قبل ، وأمسكها انطوان ورقع رأسه  
شاكرا لمساعدته الذى فاحت من فمه رائحة البيرة .

ومن المؤكد أن قراره الحاسم وقتئذ هو أن يقاوم ، وكان من  
الممكن أن يقسم وهو غير حاث على أن يقاوم حتى يعود عقب انتهاء  
الحفل الى بيته فى شارع دارو .

ولكن هناك نوعا آخر من المعرفة أكثر عمقا وان كان صعبا  
فى التعبير عنه . وكان انطوان يسميه قرعة الزناد وكانت هذه  
التسمية بينه وبين نفسه دون حاجة الى التعبير عنها بصوت  
مسموع .

ولم يلاحظ الجمهور شيئا ، وكذلك لم يلاحظ العملاق الشاب  
ذو الساعة تين وهو يتنفس بصعوبة ، لانه كان أشد انفعالا من  
رغبته فى المظهر . ولا تزال رائحة البيرة تفوح منه . وحتى لو لم  
يكن هناك القناع ما استطاع أحد ان يقرأ شيئا فى ملامحه . ووضعنا  
الساعة فى صندوق حريمى وردى اللون ولقت فيه وكأنها قطعة من  
الحلوى ، وعندما أمسك انطوان مطرقة كانت معدة فوق المنضدة  
سرت فى القاعة الهزة الصغيرة المعتادة ، وعندما سمع صوت  
تحطيم الزجاج وطرق المعدن تحت ضربات المطرقة ذهبت عن الفتى  
أوجين ابتسامته ولم يعد هناك أى صوت أو تنفس .

ومنذ تلك اللحظة أصبح من الضروري أن يسرع فى العمل  
لتحاشى وقوع أى حادث أو رد فعل غير مقبول .

– والآن ياسيدى أستميحك الأذن بالبحث فى جيب صدريتك .  
فأخرج الساعة سليمة كاملة ، وانفجرت الصالة بالابتهاج والتحية  
ووقف بعض المتفرجين واحمر وجه أوجين وصافح اليد المتسدة  
اليه ومضى وهو يترنح أكثر منه قبلا .

وبقيت من البرنامج ثلاث لعب أخرى تنتهى بلعبة العلم ، ومضى  
كل شيء هادئا بدون عقبة . وبعد أن انتهى العمل ارتقى الفلمان  
لخشبة المسرح وأخذوا يوجهون أسئلتهم الى انطوان .

واستبدل ثيابه وراء الستارة الخلفية وأخذ أجره فى مطروف  
– الآن وقد انتهيت من عملك فهل تشرب معنا كأسا ، لقد

عاد أحد أعضاء اللجنة من فاليز وجاء معه زجاجة من الكالفادو  
المعتق .

- أشكرك كثيرا ولكنى لا أستطيع قبول ذلك لسوء الحظ .
- هل تشكو مرضا بالكبد ؟ .
- وأجاب بالإيجاب اذ كانت هذه الإجابة أسهل .
- لاتفق بالأطباء .

ومضى دون أن يشرب شيئا ، وفى هذا الوقت لم يكن هناك سوى بعض الرجال الذين احمرت وجوههم تجمعوا حول البار فى مؤخرة الصالة التى أطفئت بعض مصابيحها ، وكان عليه أن يمضى مائتى ياردة حتى يصل الى الطريق العام حيث ينحى بالسيارة العامة . ورفع باقة معطفه اذ كانت الريح تهب من الشمال وبين كل أربع شقق يمر بها كانت غرفة واحدة لاتزال مضاءة ، وكان المبنى عند الناصية بارا ليس به سوى عميل واحد هو سائق سيارة نقل ثقيلة وقفت بالقرب من البار .

وكانت السيارة العامة على وشك الوصول فى اية لحظة ودخل البار ووضع احدى الحقيبتين جانبا وقال :

- كأسا من البراندى بسرعة .

وقال براندى كما لو كان يقول أى شيء آخر . كالفادوس اومارك بنبيذ أحمر اونبيذ أبيض ، لم يكن هناك فارق بين واحد وآخر . واستطاع أن يرى خياله فى المرأة المعتمة التى كانت فوقها ساعة عليها شعار اعلانى ، وكانت تدل على أن الساعة قد تجاوزت الحادية عشرة بخمس دقائق .

وشرب كأس البراندى وتحسس النقود فى جيبه . وكان يعرف الثمن فقد أخرج من جيبه المبلغ المطلوب . واندفع خارجا ليلحق بالسيارة العامة ، كانوا خمسة راكبين كل منهم بعيد عن الآخر لايدرى أين ينظر ؟ وبهتز مع كل هزة من السيارة ، ومرت البيوت الى الوراء وهى فى الغالب متشابهة ذات نوافذ مظلمة وبعضها نوافذها مضاءة ، وأحيانا كان يستطيع رؤية الناس يتحركون بين ستائر النوافذ ، وكانت أبواب الحوانيت الحديدية مغلقة ، ولكن من حين لآخر كان يرى مقهى مفتوحا فيعطيه الاحساس بالدفء والالفة .

وعند باب اورليانز لم يكن محتاجا لاكثر من أن يستقل القطار الفرمى أو السيارة العامة التى تجتاز ميدان التيرن وهو على بعد

بضع خطوات من منزله ، أما اذا اختار السكة الحديدية الفرعية فان  
القطار لايقف فى الطريق ، أما بالسيارة العامة فانه يستطيع اجتياز  
شارع سيباستبول .

اذا لم تكن السيارة العامة فى المحطة عند وصولنا فانى ساختار  
السكة الحديدية الفرعية .

وكان يرجو الا يكون الامر كذلك ، كما كان يرجو ان يتوقف فى  
الطريق . فقد كانت هذه اسوأ لحظة ، هذه اللحظة التى لايزال فيها  
ذهنه صاقيا ولا يزال فيها يكافح وهو يحترق نفسه لضعف  
ارادته .

وسرعان ما تتحسن الامور حتى من الناحية البدنية ، ان هذا  
الصداع وهذا الفراغ فى معدته وهذه الحمى غير المريحة ستختفى  
بعد الكأس الثالثة ، وعلى كل حال فمن يدري ؟ ربما تجاوزت فرقة  
الزناد الرجل ذا الساعة ورائحة البيرة .. لماذا شعرت جولى بالحاجة  
الى استدعائه بعد ان بدأ هبوط السلم وهو لايفكر فى شىء ؟ .  
انها لم نقل شيئا بالتأكيد بل ابتسمت له وهمست قائلة :  
- عد حلالا .

كانت غلطة ، وقد سبق له ان وضع ذلك لها ، وتوسل اليها  
ان تمسك لسانها وتتحاشى قول كلمات معينة وبعض المواقف المخيفة  
ومواقف الاستسلام .

انه سيستقل قطار السكة الحديدية الفرعية سواء كانت هناك  
سيارة عامة واقفة فى المحطة أم لم تكن هناك مثل هذه السيارة ،  
ولكنه سيشرب شيئا ما قبل كل شىء للتخلص من مذاق الكونياك،  
وليكن ذلك الشىء هو البيرة مثلا ، مجرد كأس ، ولم تكن البارات  
حول باب اورليانز من ذلك النوع الخطر عليه ، فهى بارات حديثة  
ضخمة تتألق بما فيها من اشياء معدنية مطلية بالنيكل او الكروم  
حيث يقدم لك الخمر خدم لايتطلعون ابدا اليك ثم يصيحون  
للمواقف عند البار يرددون طلبك .

فاذا وصل الى البيت انتهر فرصة هدوئه وسيطرته التامة على  
نفسه ليحذر زوجته بقوله :

- اعرف انك تبذلين قصارى جهدك وأنا افهمك ، وكل ما ارجوه  
منك هو ان تحاولى فهمى ، فهل هذا الامر بالغ الصعوبة ؟ انا رجل ،

وقد ظلت طوال حياتي وأنا أشعر انى أعيش كرجل ، وعلى حين فجة ولغير ما سبب تتجسسين على وتتصورين انى سا . .  
ونزل من السيارة العامة اخيرا ، ولم تكن السيارة العامة الاخرى واقفة فى المحطة ، واخذت امرأة شابة كانت قد ركبت معه من بروج لارين فى هبوط سلم السكة الحديدية الفرعية . وكان على وشك أن يحدو حدوها لو لم يكن عليه أن يجز حقيبتيه اللتين كانتا ثقيلتين . هذا الى أنه كان قد وعد نفسه كأسا من البيرة ، وكان صنوبره البيرة هناك خلف نوافذ الحانة وهناك زبد يفيض عن كوب، ان هذا يريح معدته ، ولم يكن ذلك مجرد عذر بل كان حقيقة .  
وكان هناك شئ آخر لم تفهمه جولى ، وهو انه - وان كان قد ظل يمارس هذه المهنة اكثر من ثلاثين عاما - لا يزال يرهب المسرح فى كل مرة يقدم فيها العابه السحرية ، وهناك رجال آخرون غيره وبعض المشهورين ممن تذكر اسمائهم فى الدليل السنوى تلازمهم هذه الرهبة طوال حياتهم ، فانت هنا تحت رحمة أقل حادث وتحت رحمة أى شرود ذهن وتحت رحمة أية حركة تكون اقل دقة من سواها ، وفى بعض الحالات قد يسبب السعال الشديد او عطسة حدوث كارثة .

- عليك ان تعمل بكثير من الهدوء .

وهذا صحيح ظاهريا أما داخليا فلا بد له من أن يجعلها تفهم ما يتطلبه أى عمل ولو كان طفيفا من توتر عصبى ، ومع ذلك فانت بعد ذلك لاتستريح من لحظة لأخرى اذ يبقى التعب الشديد والخمول .

فترد عليه :

- وهل تظن أن الشراب يقضى على هذا التعب ؟ .

ويجيب :

- نعم مادام المرء يلتزم . . . .

ايها الساقى ، كأسا من البيرة . .

«أكسبورت» . .

والاكسبورت اقوى انواع البيرة ، فأوما برأسه ، اذن هذه هى النتيجة التى حققها ، وهى أن يخجل من عمل بسيط كهذا ، يخجل الى حد يجعله على وشك أن يستدعى الساقى ثانية ليطلب منه أن تكون البيرة عادية .

وهنا أيضا مرايا . وفى المقاهى والبارات دائما مرايا ، ولم يملك إلا أن يلقى نظرة على خياله فى المرآة . وقد أثار قنوطه ما رآه من سيخوخة وورثاة .

خمس وخمسون سنة . هل يستطيع المرء وهو صبى صغير ثم وهو شاب أن يتصور سيذا فى الخامسة والخمسين من عمره يمكن أن يكون فى بار قبل أن ينتصف الليل بربع ساعة ، ثم ينتسابه تأنيب الضمير لأنه طلب كأسا من البيرة فحسب ؟ .

ومع ذلك فهذه هى الحقيقة والبيرة أسوأ ما تكون مذاقا ، فهل يكون أكثر ذكاء فلا يشرب ثم يدفع الثمن ويمضى نحو محطة السكة الحديدية الفرعية ؟

وكان هناك اثنان يستندان الى مرفقيهما فوق البار نفسه عند دورانه . . ليته لم يبلغ الخامسة والخمسين من عمره . ان احدا الاثنين قارب الخمسين والأخرى لم تتجاوز الخامسة والعشرين ، وكلاهما يشرب شرابا يفيل لونه الى الصفرة ، والرجل يشير لاعادة ملء الكأسين والمرأة تعلق قاع كأسها بلسان شره وتنفجر ضاحكة . ولا يشعر أيهما بتأنيب ضمير بل هما يمرحان ، بل ان مرحهما أكثر من أن يكون عاديا .

وجاءت السيارة العامة بدون ضوضاء أو ضجة ووقفت عند باب البار .  
- كم ؟ .

وتردد ، ولو أنه شرب كأسا أخرى من البيرة لفاتته السيارة . الآن استقر على رأى ، ولكن ذلك لم يكن عن وعى ، والأمر دائما أكثر تعقيدا من هذا وهو يعرف ذلك كل المعرفة ، ويعرف ان ذلك يجعله منتبها ميالا الى الاعتداء ، وامسك حقيبتيه بحركة كان من الممكن ان يرفع بها ثلاثة أمثال وزنهما واصطدمتا بباب السيارة . واخيرا جلس فى السيارة وأخذ ينظر الى الأشياء والناس فى ضوء جديد .

وبعد تلك الليلة التى قضاها فى الهافر أقسم جادا . . وهنا كان لخطوه . انه يخاف أن يسبب ايلا ما لاحد وخاصة جولى . انه يحب جولى ، وهى تظن انها تعرف ذلك على حين أنها فى الحقيقة ليست لديها أية فكرة عن مدى حبه اياها ، وليس هذا الحب خياليا فهو .



لا يخذع نفسه ، اذ هو يحبها حبا جديدا وهو يعلم أنه يحبها هذا الحب  
لا لما يتصورها عليه ، بل لما هي عليه فعلا .

وقد حاول المرة تلو المرة أن يجعلها تفهم هذا ، وهناك لحظات  
يظن فيها أنه نجح في هذا ويشعر أنه مقتنع بأنها فهمت وأن كل شيء  
سيصبح بسيطا ولكن لا تمضي ساعة حتى ... .

كلمة واحدة أو نظرة واحدة تصبح كافية كما حدث الليلة عند  
وأس السلم ، انها لاتبين ما في ذلك من معنى ، انها صادقة وتعتبر  
نفسها محبة وتتصور نفسها تعنى به .

وجميع البارات في شارع سانت ميتشيل لاتزال مفتوحة ولكنها  
لاثير اهتمامه كما لاثير اهتمامه تلك البارات المفتوحة في شارع  
سيباستيبول ، وعندما تكون السيارة مارة بالشوارع الكبرى ينهض  
فجأة ويسرع الى باب السيارة بسرعة كبيرة الى حد ان الركاب  
يظنونه سيلتقط الحقيبتين .

- معذرة فانا نازل هنا .

ولا تزال هناك سيارات كل خمس عشرة دقيقة ، ولو دعا الأمر  
لاستقل قطار السكة الحديدية الفرعية ثم يعود الى شارع دارو بعد  
أن ينتصف الليل بنصف ساعة ، ليتها تكون قد نامت بدلا من أن  
تظل مستيقظة في انتظاره! .

كفى ! كل هذا غباء ، عند ناصية شارع سانت دنيس بار صفر  
بحيث كان يرتاده عندما كان في الخامسة والعشرين من عمره ولا يزال  
البار من الزنك والاضاءة فيه صفراء قذرة ، فهل تكون هناك فتاة  
كبيرة ذات اديم وردي تنتظر عند النافذة؟ .

والشيء المضحك هو انه لايعرف ماذا يشرب ؟ ربما لايشرب  
شيئا على الاطلاق ، بل يقف هناك يحدق النظر امامه ، كلا! . . لان  
الاتصال لن يتم على هذا النحو ، والمسألة اولا وقبل كل شيء مسألة  
اتصال . خذ الفتاة مثلا : هاهي ذى هناك فعلا ، ولكنها ليست تلك  
الفتاة الكبيرة السيئة التكوين والشقراء المرتسمة في ذاكرته بل هي  
فتاة نحيفة ذات شعر أسود تفوح منها رائحة الثوم ، وهي بجوار  
الباب الذي يجاوره مدخل الفندق . . لقد كان هنا منذ خمسة  
وعشرين او ثمانية وعشرين عاما ولا يزال يذكر الرائحة .

اما الآن فلم يكن لذلك معنى ، وراقبته الفتاة وهو يدخل البار

بدون اهتمام ، ومن مقتضيات مهنته ان يدرك كل شيء من اللحظة الاولى ، وبالنظرة الاولى وهو يعرف ان الفتاة من جانبها قد لاحظت الحقيبتين الممتلئتين ذواتى الزوايا المعدنية ، ولاحظت البنطلون والمعطف الاسود ، وربما لاحظت اثر المكياج فى وجهه ، وفى هذه البيئة لاثير مظهره الدهشة وربما فطنت الى نوع عمله .  
ولم تعد تهتم به ولا هو عادمهما بها ، وهو يتساءل : ماذا سيشرع وعندما سألته البارمان اجاب :

- كالفادومس .

وحقيبتاه على نشارة الخشب فوق الارض وفى آخر البان  
وجلان يتناقشان بصوت عال .  
ثم قلت له :

- اسمع يا ارنست ، اذا كنت تظننى سكيراً فانت مخطيء . . .  
ويشير بعينه ثم يشير الرجل الآخر بعينه .  
- وماذا قال لك ؟ .

- غط فى نومه يا اخى .

ثم طلب الرجل كأساً اخزى .

وكان كلا الرجلين يرتدى ثياباً مهلهلة ولا يبين لهما عمر ولا يعرف  
من اين اتيا .

لا بأس : فليس هناك اتصال ، وفى امسية كهذه يجب عليه ان  
يمسك قطعة من الورق ، ويكتب عليها بضع كلمات يستطيع  
استخدامها فيما بعد مثل « ايجاد اتصال » وهذه مسألة اخرى  
يستطيع شرحها لجولى ، ولكنه يشعر مقدماً تماماً بانها لن تفهم لانها  
ليست فى حاجة الى ان تتصل بأحد آخر سواه ، فهى لاتهتم بالناس  
الذين يمرون فى الطريق والذين يسرعون الى محطة السكة الحديدية  
الفرعية أو ينتظرون عند بائع اللبن ، بل هى لا تكاد تراهم . ولو  
انه اراها الرجلين الواقفين عند الباب لسألته :  
- وما شأنهما ؟ .

انهما كائنان بشريان حلت عليهما اللعنة ، فهو الآخر كائن  
بشرى وهى ايضا كائن بشرى حتى لو لم تعترف هى ذلك بينها وبين  
نفسها والبشر ! .

ايها الساقى :

كأساً اخرى .

كيف يكون ممكنا الاستطيع توصيل مثل هذه الحقيقة البسيطة الى أحدا ما ؟ وظل دقيقة كاملة يدرك شبح رجل يمشى رائحا غاديا فى الممر الجانبى ، ويلتفت فى كل مرة نحو الفتاة الجالسة الى المنضدة . ويعتزم امرأ وتنهض : ولا بد ان يلتقى الشبحان بعيدا فى البرد . . . ويتهاوسان ويمضى الرجل ويدها فى جيبه ، وتعود هى وقد شعرت بالضيق وتجنس فى مكانها حيث لاتزال كأسها أمامها .

والتقت عيناها بعينى انطوان وفى اول الأمر لاتفكر فى ذلك . ثم تخطر لها الفكرة بعد ذلك ، وبعد أن تكون قد فهمت تلتفت اليه وتهز كتفها بطريقة خاصة ، ولهذا معناه ، وبدون أن يتسرب اليه أى خوف من احتمال خطأ فسر اشارتها هذه بأنها تريد أن تقول :  
- ان الاتفاق لم يتم ، بالسوء الحظ !.

كان هناك اتصال ، كانت هناك مشاركة فى شىء وجولى ترفض الاعتراف بها وقد تغضب لها ، لا لأنه ساحر يجرى وراء الحصول على أجره فحسب ، بل هو قريب من بيته حتى انه فى ثيابه وفى هذا الوقت من الليل . قد يبدو خادما أو عازفا موسيقيا أو عاملا جمع التذاكر عند باب مسرح !.

وهو مسرور لأنه وصل الى هذا ، ويجب الآن ان يبعث السرور فى أحدا ما ، وأخرج نقوده من جيبه وقال :

- كم ؟.

ثم يقول بهدوء فى شبه اشارة نحو الفتاة :

- أضف الى الحساب ثمن كأس لها .

وقد سمعت هذا القول ، وهن يسمعن كل شىء وعندما تمر بها

وحقيبتاه متدليتان بيديه تشير اليه قائلة :

يوما ما على مدار الزمن سوف تفهم جولى وعندئذ سيكونان معا

سعيدين !.

## الفصل الثانى

لم يمش طويلا لأنه فى هذه الناحية بين شارع مونمارتر وميدان الجمهورية صالون عند كل ناصية ، وقد نسى حساب الزمن وهو يمر من دفة صالون الى الجو البارد خارجه ، والآن لم يعد هناك أحد على الارصفة سوى رجلى بوليس بعيدين يسيران بخطى ثابتة.

كان هذا آخر بار حقا لانه لم تعد هناك بارات بعده ، وهو البان  
الوحيد الذى يظل مفتوحا طوال الليل كغرفة انتظار فى محطة سكة  
حديدية وفيه الاضاءة نفسها والزخارف نفسها والاثاث الذى فى  
محطة السكة الحديدية ويخيم عليه جو العزلة نفسه بل ان رواد  
البار يبدون كركاب قطار الليل الذين ينامون فى غرفة استراحة  
الدرجة الثالثة !.

وقد سبق لانطوان ان نام فى اثناء سفره بأحد قطر الليل عندما  
كان ينقله الى فيرفيه ببلجيكا ، وكان الناس يخطون فوقه كل عشر  
دقائق ، ولكن هذا لم يحدث لجولى .

وهنا كان كل الفارق وسبب سوء الفهم . لقد كان أحيانا يأخذها  
الى حيث تنام فى غرفة الانتظار المملوءة بالناس الذين تحاول أعينهم  
ان تخمن الى اين يقودهما مصيرهما ؟ ثم يتعلق كلاهما بالآخر وهما  
يجالسان على الأريكة ويمسكان الملاءة الوحيدة التى يتفطيان بها ،  
وكلاهما يربح رأسه على حجر الآخر ، وكانت رائحة التبغ ودخان  
القطار ورائحة العرق تختلط برائحة البول ، وفى احد الأركان  
أم تغير ثياب طفلها وهى تشعر بالخجل ، وقد انتابتها حالة عصبية  
دون سبب واضح لهذا .

كان من الضرورى لها ان تعرف ذلك ، أن تعرف انه لا حل سوى  
هذا .

أما هنا فى البار فليست هناك أجسام ممدودة على الأرض ، بل  
هناك رجل عجوز ذو شعر أبيض غزير ، وهو نائم على مقعد وظهره  
الى الجدار ، وقد ارتسم على وجهه المنهك البالى تعبير طفلى ، وهناك  
إثنتان لا بد أنهما راقصتان بأحد النوادى الليلية ، وهما تغمسان  
قطعنى خبز فى القهوة باللبن وامامهما بيضتان مسلوقتان .

لقد كان مخطئا بشأن غرفة الانتظار ، فهذا هو الرمز الحقيقى  
وكاد يبكى عندما تبين ماذا ظل يبحث عنه جزءا من الليل . ولم يكن  
مافات جولى هو غرفة انتظار الدرجة الثالثة ، بل أكسل البيض  
المسلوق فهى كانت تاكل البيض فى السلطنة أو بالسباتخ أو على  
ذلك النحو الذى يحدث فى الرحلات الخلوية ، أما البيض المسلوق  
والذى له فائدة فهو ذلك البيض الذى تلتهمه فى الساعة الرابعة  
سياحا ويداك من أثر البرد زرقاوان على حين ان قدميك تؤلمانك

بعد أن تعد آخر تقود فى جيبك بين قوم تقوه منهم رائحة  
الحيوانات المريضة .

ويأخذ واحدة فقد أهقضت اعوام واعوام منذ ان اكل بيضة  
مسلوقة ، كما يأكل هذه البيضة الآن وهو واقف عند البار وحقيبتاه  
هند قدميه فتستقر عيناه على رجل فى الجانب الآخر من البار  
الذى على شكل حدوة الحصان ، وكان الرجل هو الآخر ينظر اليه  
وهو مثله يرتدى ثيابا سوداء ، ولكنها من قماش أفضل من قماش  
ثيابه ، وكانا متمثلين تقريبا فى السن وفى ارتفاع القامة وفى  
تكوين الجسم نفسه ، وللرجل الآخر شارب اسمر صغير ويده  
اليمنى ترتعد وهى ممسكة بكأسه على حين ان يده اليسرى تقبض  
على حافة البار كما لو كان يخشى السقوط .

وشعر بالخجل ، فمم كان الخجل ؟ ويود انطوان ان يذهب  
الى الرجل ويريت على ظهره فى أخوة طيبة ويقول له : انه ليس هناك  
داع للخجل ، وهو : هل يشعر بالخجل ؟ وأخيرا يحدد نظره فى  
الشعار الذى يزين عروة سترته وهو شعار اللجيون دونير وبذلك  
تزداد حيرة الرجل وارتبأكه .

ولابد أن للرجل زوجة بل وربما عائلة كاملة وشقة مريحة ويخشى  
أن يعرفه القادم الجديد ، ويدها نظيفتان أنيقتان ويزين احدئ  
أصابعه خاتم ذهبى كبير .  
وقال انطوان بلهجة حزينة :

— كأسا من البراندى ! ولم يكن قد اكل اكثر من نصف البيضة  
المسلوقة .

وليس انطوان جائعا وسياكل بقية البيضة من حيث المبدأ لانها  
بيضة رمزية ، وقد حدث ذات مرة وكان ذلك منذ وقت طويل جدا  
ان اكل ثمانى بيضات .  
وسأله الساقى :

— هل البراندى ممزوج بالماء ؟ .

ورد انطوان عليه : اذا شئتم .

واذا كان الساقى قد وجه اليه هذا السؤال من قبل كان  
وده عليه .. « اذا شئت » . فلماذا لم يعد قادرا على ان يقول :  
— اذا شئت ؟ .

انه هنا يشعر بالطمأنينة ولا بد ان جميع الذين فى البار يشعرون  
الشعور نفسه بالرغم من معطفه النظيف وحذائه اللامع ، أما الرجل  
الأخر فلم يكن فى الوضع نفسه ، بل كان يشعر بالخجل ومما لاشك  
فيه - انه فى الغد سيشعر بتأنيب الضمير .

أما انطوان فلم يؤنبه ضميره ، لأنه لن يحدث له ثانية ما حدث  
له عقب الليلة التى قضاها فى ميناء الهافر .

وهو يتجهم الآن لأن شخصا جديدا دخل البار وقتئذ يرتدى  
ثيابا أنيقة ، وسرعان ماوجه نظراته الى انطوان وهو يحاول التذكر ،  
ثم يبتسم ويتقدم نحو انطوان باسطة ذراعيه ويقول :  
- صديقى انطوان !.

وقال الرجل :

- لا تقل لى : انك لاتعرفنى ! اذكر قهوة باكتا داجوير .

يرجع ذلك الى ثمانية عشر عاما مضت على الأقل فى وقت كان  
يحتاج الى عشرين فرنكا ، فيذهب الى قهوة باكتا حيث يقدم بعض  
العابه السحرية ، ولم يكن اسمه داجوير حقا .

- هل ترى أى تغيرت جدا ؟ .

- لا ، طبعا .

- قل لى الحقيقة ، انا بخير ياخى ، ولكنك أنت لم تتغير ويبدو  
أنك تحيا حياة طيبة .

كان من عادته البذاءة والسخرية ثم أداء كل انواع الادوان  
الكوميديا بما يتفق مع الذوق العام ، أما الآن فقد نقص وزنه كثيرا ،  
ولكن ما يزال هناك ما يوحى بأنه كان بدينا يوما ما .

وقال وهو يمد يده الى ذلك الهرم المكون من البيض المسلوق  
- هل تسمح لى ؟ .

ثم نظر الى الحقيبتين وقال :

- هل أنت آت من عمل ؟ .

- ماذا تشرب ؟ .

وكان غريبا أن تسمعه وهو يرد وفمه مملوء بضقار البقس  
ويقول :

- شيكولاته ساخنة اذا سمحت ، يبدو ان الحياه مواتيه لك .

هل تزوجت ؟ .

- نعم أنا متزوج .  
- هل لديك أبناء ، نعم : ان عندى ولدين اكبرهما فى الخامسة عشرة .

واتجهت انظار انطوان الى عروة سترة الرجل ذى الشاربى  
الاسمر فوجد انه رفع الشعار من مكانه ، ولو رآه احد على النحو  
الذى يبدو عليه الآن وقد خفض رأسه ، وأنفه فى الكأس لظن ان  
الرجل يصلى ، وربما كان يبكى او يحاول البكاء ! .  
وعندما كان انطوان فى ميناء الهافر بكى هو الآخر قبل وقوع  
ذلك المشهد الكبير .  
- لا يمكن ان يخطر ببالك ما وقع لى .

وقال داجوير هذه العبارة على نحو تكلف فيه ان يبدو ذلك  
بطريقة عابرة وهو ينظر نظرة جانبية واستطرد يقول :  
- نعم وقد يقع لك انت الآخر فأنت فى المهنة ، وربما وقع لك  
يوما ما ، فأنت تعرف مصير مهنتنا ، وربما جاز لك ان تقول انه  
لم يعد هناك عمل لآى شخص مهذب ، وقد عرض على بعد ظهر اليوم  
ان أعمل أسبوعا فى دار سسينما فى نيفير فى فرقتها ووافقت  
ووقعت العقد وسأبدأ العمل ليلة القدر . . هل تدرى ؟ .  
وكان انطوان يدرى ولكنه لم يقل ذلك .  
وذهبت الى البيت فقالت لى زوجتى ببراءة : انها صرفت كل  
ما بقى فى البيت من نقود فى شراء حذاء للصبى .  
وضحك الرجل الذى كان ممثلا هزليا يوما ما ضحكة الممثل  
الهزلى وقال :

- نكتة ؟ اليس كذلك ؟ .

ثم قال بصوت عال وهو ينظر الى الحقيبتين عند اقدامهما :  
- اظنك مستطيعا ان تقرضنى ثمن تذكرة السفر ؟ ولاتقرضنى  
فسيئا اذا كان فى هذا ما يضايقك فانى لا اضايق اصدقائى . وانت  
ترى يا صاحبى ان هذا العقد . . انه . .

وأصبح صوته أجس وهو يمسح خلسة دموعه ، وهى دموع  
مسرحية ، ومع ذلك فهى دموع أكثر انسانية من دموع جولى ،  
وصيقول انطوان لها ذلك ، ومن الضرورى ان يطلعها على هذه  
الحقائق .

وقال انطوان للساقى :

- كأسا اخرى من البراندى .

ثم وجه حديثه الى صاحبه :

- هل انت واثق من انك لن تشرب البراندى معى ؟

- لادخل السرور الى نفسك فحسب ، واني اقول لك كل هذا

لانا انت وانا كما تعلم ...

- طبعاً ...

وقدم له المظروف الذى يحتوى على كل الاجر الذى حصل عليه فى بورج لاربيه ، ولم يكن قد فتحه ، ان هذا سوف يفضيحه جولى ، ولكن بعد ان يشرح لها المواقف ستفهم كل شئ على الفور .

- ان تغضب زوجتك ؟

لماذا فكر داجوير فى زوجته على حين انه لايعرفها حقا ؟ ورد

انطوان :

- بلى لاتزعج نفسك .

- حالما اصل ساتصل بك تليفونيا ، هل لديك تليفون ؟

- نعم لدى تليفون .

- هل اسمك فى دليل التليفون ؟

ثم اخذا يضحكان .. دون ان يعرفا سببا لضحكهما كما لو

كان وجود اسمه فى دليل التليفون نكتة بارعة !

- تحياتى !

- تحياتى !

واخذ شاب نحيف انسدل شعره الكثيف على قفاه وهو مستنك

بكمومه على البار وهو يشرب القهوة ومن المؤكد انه لم ياكل قط -

اخذ يحدق النظر فى البيض المسلوق كما لو كان منوما تنويمياً

مغنطيسياً ، ولكن انطوان لم تكن لديه اعصاب للاحتمال !

وسال انطوان صاحبه داجوير :

- هل تاتى الى هنا كثيراً ؟

- بين الحين والحين ،

- اين تقيم ؟

- فى مدينة تيرن .



وجاء أوان الرحيل ، وفى آخر مرة عاد فيها متأخرا الى البيت  
ويجد جولى مريضة ، ولم تفتعل هذا المرض ليعطف عليها ، وفى  
الصباح التالى اضطر لاستدعاء الطبيب الذى تحدث حديثا خطيرا  
من الاعصاب والقلب ، صحيح ان امها ايضا كانت مصابة بمرض  
الى القلب ولكن هذا لم يمنع ان تعيش حتى تبلغ الثانية والسبعين  
من عمرها وظلت حتى آخر ايامها وكان ذلك منذ ثلاثة اعوام مصدر  
النكد فى حياتهما .

- هل هناك شىء ؟ .

- كلا . .

ولم يصدق داجوير ذلك ، ولكن لما كان قد حصل على المظروف  
واطمان عليه فى جيبه فان الامر لم يعد يهمه . ونظر الى الكاسين  
الفارغتين نظرة فيها طفولة . وقال أنطوان :

- كاسين من البراندى .

ربما كانت هذه الكاس اكثر مما يجب له ، فقد كان قبلها احسن  
تحالا . وكان ملائما بين نفسه والظروف المحيطة به ، لم تكن هناك  
هزة له بما يحيط به ، بل انه لم يعد يفكر فى هذا الآن ، وكان من  
الممكن ان يقسم على انه قد افاق واصبح يرى الاشياء بجلاء ، وهو  
امر يبعث على الحزن .

مثلا عرف صديقه القديم - وربما كان كل عدد المرات التى  
التقى فيها عشر مرات . وربما لم يكن متزوجا ، اما عن قصة التحاقه  
بالعمل فى نيفير فقد سمعها من قبل عدة مرات .

وحقق الرجل الذى كان يزين عروسته بالشعار ثم ازاله -  
بحقق النظر فيه متحديا : لماذا ؟ وذهب الشاب النحيف الى ناحية  
السوق وربما وقف هنا بالقرب من السيارات . وذهبت الراقصتان  
الى بيتهما لتاوبا الى فراشهما ، وكانت هناك امرأة عجوز قد دخلت  
اليان الآن وهى امرأة بدنية وقذرة ومخمورة فعلا ولا بد انها كانت  
تبيع باقات البنفسج عند ابواب الفنادق التى اوشكت ان تغلق  
والنقود فى جيوب مئزرها .

انه لا ينسى حقيبتة ولم يسبق له ان نسيها قط طوال حياته  
ولا حتى وهو فى ميناء الهافر .

- هل اساعدك فى حمل احدى الحقيبتين ؟ .

- كلا ، وأشكرك فقد تعودتهما .  
- الا تنتظر قطار السكة الحديدية الفرعى ؟ .

- نعم بل سأركب تاكسيا .  
وتبين انه أخذ يترنح ، وان حركاته لم تعد دقيقة محكمة، ولكن هذا كله امر يتعلق بالجسد ، ولا أهمية لما يحدث للجسد نتيجة للكحول مادام ذهنه صافيا ، والدليل على ذلك أنه عرف أن سائق التاكسي روسى وأنه تذكر عمليات الاصلاح التى تجرى فى شارع هوسمان .

- شارع دارو امام الكنيسة الروسية . هل تعرفها ؟ .  
- نعم .

وليس هناك سبب يمنع جولى من ان تفهم ، فهى تحبه ، وهذا امر مقرر لاشك فيه . ونتيجة لهذا يجب أن تبذل جهدا لتضع نفسها مكانه . وهو الآخر يحبها بل أكثر مما تحبه هى ، وهو لا يحصى عليها اخطاءها بل هو عنى عكس ذلك تماما ، من هنا يجب أن يبدأ فيوضح لها أنه يحبها بسبب اخطائها وان اخطاءها هذه هى التى تجعلها انسانية .

وسأل سائق التاكسي :

- هل أنت متزوج ؟ .

- أنا جد .

انه لا يرى أى أضواء فى نوافذ شقته ويخرج حقيبتيه من التاكسي أولا ثم يضعهما على الرصيف ثم يمشى نحو الباب الكبير ويضبط زر الجرس النحاسى ، والبيت مسئول الى حد ما فهو يكرهه وطالما كرهه فهو ملئ بالكبرياء حتى البواب ! .

واضطر الى ضغط زر الجرس مرتين ووضع إحدى الحقيبتين على الأرض عند الباب وصدر عن ذلك صوت ضايقه وتلثم وهو ينطق اسمه وتجاهل البصعد ذا الضوضاء ، وصعد السلم على أطراف أصابعه حتى الطابق الثالث .

وفتح الباب بسهولة مما كان دليلا على أنه غير مخمور . ولقد كان من عادة جولى أنها تترك مصباح الكهربيا الصغير فوق الباب مضاء عندما يخرج انطوان فلم يكن فى حاجة الى اضاءة المصاييح

الأخرى ، وخلق ثيابه قبل دخوله غرفة النوم واستطاع أن بندس في الفراش دون أن يتعثر في شيء!.

ولما كانت نائمة فإنه سيكلمها في الصباح وسيستمتعان كل الوقت ، وما عليه أن يقوله حاضر في خاطره ، وهو حزين لغير ما سبب ظاهر ، وربما كان أسفا لنفسه وربما كان أسفا لها وربما كان هذا الأسف لجميع البشر الذين من أجل العيش بضعة أعوام لا تستحق هذا العيش يؤذي بعضهم بعضا . ومع ذلك فهو يشعر أن الأمر يجب أن يكون سهلا فهو لا يتطلب أكثر من ..

وتكاد جولى تلتهم من الحمى ويتساءل : هل الحمى قد أصابتها وبوده أن يلمسها وأن يقبلها ، ولكنه يخشى إيقاظها فهو لا يمسك عليها شيئا أى شيء على الإطلاق ، ولن يمسك عليها شيئا بل هو يفض عاطفة نحوها الى حد أن عينيه تذر فان الدموع من أجلها حتى ولو كان ذلك الرجل الذى خدعه منذ لحظة يضحك منه الآن ، وحتى لو كان ذلك الرجل قد بدا منه العطف عليه!.

وهو يسمع صوتا ضعيفا فوقه ، وهذا الصوت بدوره يملأ قلبه حرارة غامضة ، انه صوت خطوات امرأة عجوز تمشى واضعة قدميها فى شبشب غرفة النوم تقوم من نومها عشر مرات كل ليلة لتقدم لزوجها الدواء وقد قيل لها : - انها ان نسيت أداء هذا الواجب ليلة واحدة مات هذا الزوج اذ هو كالمصباح الذى لا يد من اعادة ملئه بالزيت . وقد ظل اللهب يتذبذب عدة أشهر ، وهو يكاد يكون ميتا ولا يعرف ذلك اذ هو لا يدرك شيئا ولا يستطيع أن يتحرك أو أن يتكلم وتتلقت عيناه فيما حواليه وفيها نظرة خائفة هى نظرة الطفل الحديث الولادة ، وكل ما لديهما من مال قليل لا يكاد يكفى أكثر من إبقائهما بين الأحياء . ولخوف الزوجة من ازعاج السكان الآخرين تمضى فى تنقلاتها كالغفارة كما لو كانت تعتذر عن إبقائها حية تتحرك!.

وهو يستطيع الآن أن يسمع تنفس جولى ولكن هذا التنفس لا يبدو كما كان شأنه من قبل ، ثم يسعل بطريقة خاصة واذ يسعل يرفع رأسه عن الوسادة ويظل ساكنا بلا حركة يحبس أنفاسه ويدرك هزة خفيفة فى الفراش!.

ويرفع عنه غطاءه ويبسط يده الى زر النور ويقول :

- من ذا الذى يبكى ؟!

وقد دفعه الخوف من إيقاظها الى استبقاء قميصه والى علاج  
العناية بنظافة أسنانه ، وكان كل ما استطاع أن يراه هو الشعور  
الاشقر الذى اشتد شحوبه الى حد أنه عندما يستحيل لونه الى  
البياض لا يمكن ادراك الفارق بين الحالين .

ويكرر قوله فى قلق :

— هل تبكين ؟

وقالت له بدون أن تتحرك أو أن تكشف عن وجهها :

— أضىء النور من فضلك .

قولى لى : لماذا تبكين ؟

لا بد انها ممسكة بمنديل تضعه على فمها تحبس به نحيبها من  
أن ينفجر ، وظهرها يرتفع وينخفض فى رتابة ، وكان قد جلس فى  
الفراش وبدأ كل ما يحيط بهما وكل الأشياء المألوفة والأثاث وقتلا  
تجمد .

— هل ترفضين الرد على ؟

— أرجوك يا أنطوان .

— أنا اطلب منك الرد على قولى : ماذا هنالك ؟

— نم انت يا أنطوان .

— اسمعى يا جولى .

— أرحمنى ! .

— كلا فانا أريد أن أرى وجهك .

وتهز رأسها بالنفى . .

— هل تسمعين ؟ أنا أمرك أن ترينى وجهك .

— أتوسل اليك ! .

— هل ترفضين ؟

ومع ذلك فلم يرفع صوته ، وهى خائفة وتكشف وجهها وتقى  
هينئها فزع .

— ماذا يخيفك ؟

وتعض شفتها السفلى ويتلوى جسدها كما لو كان الالم ينهشه .  
— قولى لى ماذا يخيفك ؟

ولو رآها أحد وقتئذ ولم يكن يعرفها من قبل لراى انها لا  
تعرفه .

— لماذا تنظرين الى هكذا ؟ ماذا يبدو لك منى قير عادى ؟ ليه  
أقل لك شيئا .

— أرجوك مرة اخرى يا انطوان ..

— اظنك تتصورين انى كنت اشرب الخمر .

هذا غير معقول ، ولم يكن يقصد ان يقول ذلك اطلاقا ، وحاول  
أن يستجمع قواه .

— هل تظنين انى مخمور ؟ كلا فلم يحدث الليلة شىء من  
هذا .

— انطوان ..

وهى تبدو اكبر سنا منها فى العادة ، وقد ظهر احد ثديها تحت  
قميص النوم وبدا فيه ترهل السن ، واثار هذا المنظر عطفه عليها فهو  
يحبها وكل مايجب عليها أن تفعله هو أن تنصت فى هدوء بدلا من  
أن تبعد عنه .

لماذا اذن كلما بسط يده اليها ليدير وجهها نحوه تطفى وجهها  
بكلتا يديها كما لو كان على وشك أن يضربها ؟ .

انه لم يضربها قط طول حياته سوى مرتين ، ولكن هذا امر  
يختلف كثيرا ، اما اليوم فهو هادىء ضابط لنفسه ولم يعد مستطيعا  
البقاء تحت الغطاء اذ هو فى حاجة الى الحركة .. الى المشى .

— اين انت ذاهب ؟ .

هل تصورت أنه خارج ؟ هكذا تخطر الافكار للمرء اذا لم يعرف  
الدوافع الحقيقية .

— لست ذاهبا واذا لم أخطئ الظن فانك لم تنامى وظللت طول  
الليل يقضى مشغولة الخاطر بشانى ، فهل هذا صحيح ؟ تكلمى .

قولى شيئا وربك .

وتتمتم قائلة :

— لم استطع النوم ..

— أنت على صواب اذن ، وعليك أن توجهى اللوم الى لان الغلطة

قلطتى أنا ، وأنت تريننى وحشا .

— عد الى فراشك يا انطوان والا اصابك البرد .

وهو متمطش لا الى الرذيلة بل يشعر بحاجة الى شىء يشربه

ولديه ماداما زجاجة من الروم فى دولاب المطبخ، وهو لا يتوقع أن

تسمح جولى له بذلك ولكنها لا تتحرك ولا تنفعل بل تستمر قى  
البكاء وعيناها الى السقف ووجهها يتقلص كما يفعل وجه الطفل  
اذ يبكى فى الشارع .

- أنت تعلمين انى انما اشرب جرعة واحدة كملاج لمعدتى  
وتستطيعين رؤية ذلك بنفسك ، ولست مخمورا ، ألا ترين انى  
الليلة غيرى فى أبة ليلة أخرى ، اذ انا فى حاجة الى التفكير ؟ .

- هل تصر على الاستمرار فى الكلام ؟ .

- لانك لا تريدان الانصات لى .

- لم اقل ذلك .

- وماذا قلت اذن ؟ .

- ما جدوى ان يؤلم كل منا الآخر كما حدث فى ميناء الهافر ؟ .

- أولا اريد ان اوضح لك ان ما حدث فى ميناء الهافر كان

بسببك ، صحيح اننى اعتذرت لك فى الصباح التالى مدعيا انى  
السبب .

- لقد اقسمت .

- لانى خفت ان نصيبك النوبة .

- ألم تكن تعنى ما قلته ؟ .

هل كانت تلك الكلمات حقا هى ما اتاحت الفرصة لقولها تلك

الليلة ؟ ولقد كان من الممكن ان يصر على العكس بحسن نية لانه كان

دائما حسن النية ، ولم يشأ ان يكون المتكلم وحده ولا ان يكون

مصدرا للأحكام ، بل كان مقتنعا بأنه سيد نفسه وان كل كلماته

مستوحاة من حبه ومن حكمة عقله .

ولم تفته ملاحظة ان مخاوف جولى قد سيطرت عليها ثانية

عندما ارتدى ثوب النوم لان هذا بين لها انه استعد للنوم . ووضع

زجاجة الروم على البوفيه ، ولم يكن قد جاء بالكأس من المطبخ

ولم يرد ان يشغل نفسه بالذهاب الى المطبخ والعودة منه ، بل أراد

ان يشرب من الزجاجة راسا جرعة بعد أخرى ليذهب عن نفسه

الشعور بالتعب .

اليس له الحق فى ان يشعر بالتعب ؟ .

ويجب عليه ان يتماسك فان هذا امر ضرورى لما لتبادل

الايضاحات بينهما من أهمية كبيرة ، بل انه رائع .

– انك ترين يا عزيزتى ما يفتيب عن بصرك احيانا .  
ولقد كانت هناك اشياء كثيرة تفتيب عن بصرها ، فمن اى هذه  
الاشياء كان يتكلم ؟ كانت فى حاجة الى ان يقول لها الحقيقة مرة  
واحدة وأن يقولها بهدوء وبدون ضجيج ، ولا ضير فى سماع  
الحقيقة .

لماذا لا تقبل هى الحقيقة ؟ .

هل قالت شيئا ؟

انها ستقول فيما بعد .

– لم اقل شيئا بل ظللت انت تتكلم وحدك مدة ساعتين .  
وتزعم فى كل مرة ذلك ولكن يفوتها ان تذكر ان لها طريقتها  
الخاصة فى ضبط نفسها والنظر اليه مادام يتكلم ومهما طال كلامه .  
وحتى فى سكونها واغماض عينيها كانت مقاومتها لما يقوله واضحة  
بل لقد كانت هذه المقاومة عداء .

هذه هى الكلمة ، وفى لحظات كهذه اللحظة كانت مقاومتها له  
بل اصبحت عدوة له ، لم يعودا شخصا واحدا واخذت ترى فيه  
شيئا آخر خارجهما ، ترى فيه شخصا غريبا ! .

– ليس لك الحق فى ان تفعلى ذلك ، هل انت منصتة لى ؟ . .

وقال بعد ذلك

– هل تحسنين الى بالانصات لى ؟ .

كان ذلك مفهوما وليس فيه مبالغة ، كانت تحسن اليه كما  
أحسن هو الى داجوبر و ليس هناك من فارق الا فى ان احسانها  
اليه احسان معنوى ، هذا هو ما استنتجه ، كانت آسفة له وكانت  
تحاول بحيلها الساذجة كتلك الحيل التى تستخدمها مع الاطفال  
لتفريه بالعودة الى الفراش ، ولما لم تفلح فى ذلك ذهبت لتأتى له  
« بالشبشب » على حين انها حافية القدمين فوق الأرض اللامعة ! .

– هل تفعلين ذلك لفرض ما ؟ .

ولم يكن يجدى تظاهرها بعدم الفهم ، وكان يعرف أنها تفهم  
فقد انقضى وقت طويل عليهما معا .

وفضلا على ذلك فانه لم يكن يفضب لهذا ، وفى وقت كهذا  
تصح هى فى حاجة الى ان تبدو هكذا مثيرة للشفقة الى حدبعضنا  
معه من يراها دون علم بها الى الظن بأنها امرأة غاية فى الشقاء لها

ولكن من منهما الشقى ؟ من منهما الذى يستسلم لصاحبه ؟  
من منهما الذى يضحى بنفسه للآخر دائما ؟ .  
كان هو دائما الذى يشقى ويستسلم لها ويضحى بنفسه لها  
دائما .

لتعترف هى بذلك ولتبذل مجهودا فى هذا الاعتراف ، ولتوفر  
عليه على الأقل ذلك الدور المؤلم وكل شيء يصيح سهلا .  
وهناك أمر تفصيلى بسيط فى وسط الجملة التى كان يقولها  
- لم يعرف أى جملة كانت تلك الجملة ؟ ولكنها كانت جملة هامة  
أذ اشارت الى السقف فى توصل كما لو كان من الضرورى أن  
يتشفع السقف لها ، او كما لو لم يكن انطوان يعلم ان المرأة العجوز  
التى فوق فى حاجة الى النوم . لقد كان هو وحده الذى يعانى  
ولو اهتمت جولى بالمرأة العجوز فوق فان سبب اهتمامها مرجعه  
الى أن تلك المرأة العجوز كونتيسة فقدت كل ثروتها .

ولو قال انطوان : انه اعطى ذلك الممثل الهزلى سابقا الذى لم  
يكن يعرف اسمه كل أجره للامته على هذا العمل ، واعترضت عليه  
عدة اعتراضات منها أنها فى حاجة الى ذلك المال لشراء بعض  
الحاجات .

وهناك كان اثنان فى الغرفة المغلقة الشديدة الحرارة والفارقة  
فى اضاءة وردية دخلت من النافذة ، وبدأ العمال يذهبون الى  
عملهم فى الشارع : اثنان يحاولان تسوية ما بينهما حتى يجعللا  
الحياة أيسر وأجلى ، فهل هذا هو الأمر ؟ .  
وفى الغد ستؤكد له أنها لم تفتح فمها وأنه كان وحده يكافح  
أشباحا .

ولكنه لم يكن رجلا تسكن الأشباح جسده .  
- اسمعى . انى أفعل كل شيء لأجعلك سعيدة فلماذا لاتقدمين  
على تضحية يسيرة جدا ؟ لماذا لا تحاولين رؤية الأشياء بمنظارى ؟ .  
فهل طلبت منه أن يقول لها : انه شقى حقا ؟ ربما فعلت ذلك  
بكلمات قليلة جدا ، وربما لم تقل شيئا ، وليست هى بالكاذبة او  
بالتى تكذب ، بل كانت تقول الحقائق بطريقتها الخاصة ، أذ كانت  
لها طريقة خاصة فى النظر اليه تبدو فيها متسائلة عدة أسئلة ؟  
وكان له الحق فى الرد على تلك الأسئلة التى لم توجه اليه فى  
هورة كلمات .



— أنا شقى ان شئت أن تعلمى ذلك ، شقى الى حد أنه لن يذهب  
هذا الشقاء عنى سوى رحمة من رحمت السماء!  
كان غريبا ما بدا له من أن العالم المحيط به قد فقد تكامله  
وصلابته حتى جسمه هو نفسه لم يعد له وجود على حين أن عقله  
أصبح اشد يقظة منه قبلا ، وأصبح لا يكاد يدرك أنهما الآن فى  
قرفة نومهما وأنهما بين الأحياء.

وكان يوازن بين أفكاره التى بدت له براءة كما لو كانت من  
المعدن ، ويضع صورة فوق أخرى حتى أصبحت شيئا منظورا غير  
مرجو فعلى حين فجأة مثلا صورة الرجل ذى الشارب الأسمر  
والميدالية برزت أمامه واضحة وهى دلالة أدهشته .

وتكلم عنه فى قوة لجولى لانه فى حقيقته أخوه كما كان فى  
الوقت نفسه تصويرا لحالته . والآن لم تعد مستطاعة أن تزعم  
انه يدافع عن قضيته لأن هذا الموضوع غير شخصى على الإطلاق ،  
وكانت هذه مسألة مبدأ على كل حال ، وكان يؤكد كميذا ،  
وعلى حين فجأة ابتسم راضيا وسلم لها بأن هذه الحجة قديمة  
قدم التلال ، وهى النزاع السرمدى بين الرجل والمرأة بين آدم  
وحواء .

— لماذا لا نكون أنا وانت استثناء من هذه القاعدة العامة ؟  
إجيبى عن هذا السؤال ، أتوسل اليك أن تجيبى . اذا عرفت  
سببا وجيها فالوقت الآن أنسب مايمكن أن يكون لذكر هذا  
السبب . الا اذا رايت أن عقلية ترافو هى اسمى ما تكون  
العقلية .

وكان ترافو هو اسم سرى جولى قبل الزواج منه . كان اسم  
أيها الذى ظل ثلاثين عاما يدير صيدلية عند ناصية شارع كورسيل  
وشارع باتنيول ، وكان اسم حماته العجوز التى شاركتها فى  
مساكنها فى اثناء السنوات الاولى من الزواج ، عالم عدائى فيه  
كل شيء يكرهه فى جولى ، كل شيء حاول مخلصا أن ينتزعه من  
تفكيرها وهو عقلية ترافو .

— عندما تهضمين ما أقوله لك بهدوء وفى عطف ستلتقين  
بنفسك بين ذراعى وستبتسمين لى ، ربما تبكين قليلا ، ولكننا  
يكاء مريح طيب و . . .

ولكنه هو الذى بكى ، ولا بد أن زجاجة الروم قد فرغت  
عندما ألقى بنفسه على الفراش بدون أن يخلع ثيابه وأخفى وجهه  
فى الوسادة وأخذ ينتحب .

ثم رأى نفسه فى الحمام بدون ثوبه وليس عليه سوى  
قميصه الذى كان يرتديه طوال يومه ، ولا بد أن يكون النهار قد  
طلع فى الخارج لأن ألواح زجاج الحمام المغطاة ببخار الماء أصبحت  
بيضاء كالثلج وربما كان الثلج يتساقط فى الخارج ، ولو حدث  
هذا ما أثار دهشة فقد كان الشهر هو شهر يناير .

لم يكن واثقا ولكن كانت لديه فكرة فأسقط على أرض  
الحمام كوب الماء الذى كانت زوجته قد قدمته له .  
وفى تلك اللحظة شعر بالضيق بدنيا ومعنويا وسيطر عليه  
خوف غامض وفى الوقت نفسه كان رأسه يؤلمه كما لو كان  
فيه جرح مؤلم .  
- أرقد ، ونم ، ولا تفكر .

وسمعها وهى تمشى على أطراف أصابعها ، وأحس بدوار فى  
رأسه يكاد يفجره ثم سمع صوت بائع الصحف عند ناصية شارع  
سانت أونوريه .

وعرف مرة أخرى من هو ؟ وأخيرا امتدت يده فى حذر  
الحيوان الذى يتحسر جحره قبل أن يبرحه امتدت يده الى  
مكان جولى من الفراش ، ولكنه لم يجد سوى ملاءة الفراش  
وهى باردة ثم سرت البرودة نفسها الى عموده الفقرى ثم الى  
عنقه وانكمش فى خوف وجذب الفطاء فوق رأسه .  
ولم يتبين أنه قد عاد الى النوم .

### الفصل الثالث

وصلت اليه رائحة القهوة فى أثناء نومه ومنحته وهما مؤقتا  
بالرفاهية والسلام ، ولقد كان يومه دائما يبدأ بهذه الرائحة .  
ولم يشعر بأى ألم وهو راقد بلا حركة كما لم يشعر بأى  
صداع ، بل كان فى الواقع يشعر فى جميع أنحاء جسده بحساسية  
إخفيفة ، ولكن أدنى حركة فى ذلك الجسد كانت توقظ الألم

والدوار فى رأسه .

وخشى العودة الى الحياة وتعهد أن يروح فى سيات عميق  
يمنحه مهلة لارجاء البقظة ، ولم يتذكر بعد تفصيلات ما حدث  
فى الليل ، ولم يشأ أن يفكر فيها ولم يدرك سوى الاكتشافات  
المؤلمة المذلة التى فى انتظاره .

وفى الأيام الاخرى لم يكن يشم رائحة القهوة وقت سماعه  
ضوضاء الشارع ، لابد أن يكون الوقت قد تأخر به ، اذ كان  
يسمع اجراس الكنيسة التى فى مواجهة بيته وهى تدق عدة  
دقات .

ولم يكن يسمع صوت حركة جولى فى الشقة ولم يكن هناك  
اى صوت فى المسكن ولا اية حركة ، وعندما حاول فتح عينيه  
قليلا ألم عينيه ضوء النهار الشديد دون أن يكون مستعدا  
له ، فادرك وهو مضطرب انه فعل شيئا لا علاج له ، ورفض التفكير  
فى هذا الشيء لانه لم يكن فى حالة تسمح له بمثل هذا التفكير ،  
بل كان فى حالة تتطلب منه المزيد من الندم .

وحتى كان احتكاك ساقيه العاريتين بالغطاء يضايق اعصابه  
كما يحدث عند الضغط باللسان على سن مؤلمة ، انه فى طريقه  
الى المرض ، وكان هذا أمرا قوى الاحتمال بل ربما كان مريضا  
بالفعل وهذا أسهل الحلول . وكان يرجو لو أن مرضه كان كافيا  
لاستدعاء طبيب ليصف له الراحة التامة .

ونام ثانية عندما استبد به اليأس ، نام نوما اقل ازعاجا  
واكثر راحة من النوم الآخر ، وعندما عاد الى الحقيقة حلت  
رائحة الحساء محل رائحة القهوة ، وتقاطرت الدموع من عينيه  
كما لو كانت رائحة الحساء هى السعادة التى ستنتزع منه .

ولم يحدث من قبل قط ان احب انطوان طريقتهم فى الحياة  
كما احبها هذا الصباح ، ولا هو احب هذه الشقة مثلما احبها  
هذا الصباح وان كانت هذه الشقة من قبل مسكنا لامرأتين : أم  
وابنتها قبل أن تصبح مسكنا له ولزوجته ، ولقد كانت غرفها شبه  
مظلمة كبقية غرف البيت . وقد تمود أن يصف الضوء فيها بأنه  
ضوء معتم ، ولكن هذه العتمة لم تكن حزينة أو مضايقة بل كانت  
تضفى على الحياة الاحساس بالطمأنينة كالحرارة التى كانت جولى

تبقيا مستعرة في الشقة برقم آتيا هي نفسها كانت امرأة باردة  
الاحساس .

وتمر الساعات الواحدة تلو الاخرى وهما يقومان بأعمالهما  
العادية في البيت تلك الاعمال التي تبدأ بقراءة صحيفة الصباح  
وأكل الخبز الطازج وشرب زجاجة اللبن التي تأتي بها جولى من  
أمام باب الشقة قبل أن توقظه في الصباح ، وتستمر هذه الاعمال  
حتى يجيء المساء ، فاذا لم يكن لديه عمل يذهب للقيام به يأخذ  
فى القراءة وهو فى فراشه على حين تأخذ جولى فى خلع ثيابها  
وترتيب شعرها .

وليس صحيحا أنه كان شقيا ، ولم يشأ أن يتذكر ذلك ..  
اذ شعر بالخلج ، وفضلا على ذلك فانه لم يتذكر كل شيء ، انه  
لم يتماد الى الحد الذى تمادى اليه فى الليلة التى قضياها فى  
ميناء الهافر ، ولكنه أحس انه تكلم فى هذه المرة أكثر مما تكلم فى  
تلك المرة السابقة لانه أحس بالهدوء وصفاء الذهن ، كيف أمكن  
أن يخدع نفسه بهذا ؟ هل تصورت جولى أنه صافى الذهن ؟ .

وفتح عينيه قليلا وخاطر بالقاء نظرة على البوفيه وشعر  
بالراحة اذ لم ير زجاجة الروم هناك ، ولم يكن واثقا من أنه أتى  
على كل ما فيها ، بل كان يحس أن الزجاجة كانت شبه مملوءة  
عندما أتى بها من المطبخ ، وكم من الوقت ظل مستيقظا ؟ ربع  
ساعة ؟ ساعة ؟ .

وكانت ذاكرته مملوءة بالفجوات وكان أكثر ما يتذكره هو  
التفصيلات المذلة المهينة ، فالرجل ذو الميدالية التى تزين عروة  
سترته مثلا ، لعله موظف مدنى أو شيء من هذا القبيل من غير  
شك ، وأشار اليه بعبارة « الاخ » واستمسك بذكرى الرجل  
الآخر ، ذلك الممثل الهزلى الذى خدعه أبسط وأرخص خدعة .

وقد ألمه كل هذا ، وأرهف أذنيه ، وكانت جولى قد تركت  
باب غرفة النوم مواربا قليلا بحيث تسمع نداءه اذا هو ناداها ،  
وكان هناك صوت ملعقة تدور فى صحن الحساء بانتظام وسرعة ؟  
أفهل كانت زوجته جالسة فى المطبخ بلا حركة ترقبه ، الا تزال  
هيكى ؟ .

وشعر بالميل الى النوم ثانية كما يفعل الجبان ليُوَجَلَ مواجعتها الى مابعد ، ولم يستطع ان يتذكر انه فكر من قبل فى حياتهما معا بمثل هذه الرقة ، وشعر بحرارة العاطفة تفرمه ، ولولا ذلك الفتى المديد القامة الذى انبعثت منه رائحة البيرة لكان الآن يجالسا فيما كانوا يسمونه « مكتبة » وهو غرفة النوم السابقة لحماته وأعيد تنظيمها بعد وفاتها .

ولقد كانت غرفة ظل يحلم بها طوال حياته ، فأخذ يفتى جدرانها بالأرفف التى قاس بالدقة كل ما يمكن ان تتسع له ، ووضع فى وسط الغرفة مكتبه الذى يحرق عليه رسائله ونشراته الدورية الكثيرة التى كان يرسلها بالملئات بدلا من الالتجاء الى وكالة دعاية .

وكان يقوم شخصيا بابتكار وضع أدوات عمله السحرية فوق منضدة خشبية فى الغرفة نفسها وبجوار النافذة ، وكان يارعا فى ذلك الى درجة العبقرية ، وقد ابتكر مجموعة كاملة من الحيل الخاصة والألعاب السحرية المبتكرة ، وكان بعض هذه الألعاب يحمل اسمه ، ومنها « القفص المسحور » الذى كان يباع فى شارع سان مارتن .

وتظل جولى طول فترة الصباح فى حركة دائمة حتى اذا دخلت مكتبه التزمت الصمت لتتيقن انه لا يقوم بعمل دقيق وعندئذ تقول له : ماذا سيتناولانه من طعام فى الغداء ، وكانت أحيانا تجلس فى ركن تقشر الخضر .

وشعر بالعطش ولو أنه قام من فراشه ليحصل على كوب ماء من الحمام لسمعت صوته ولم تكن هذه هى الطريقة الواجب اتباعها لبدء الحديث بينهما ، وفضل ان يسعل بصوت خافت وان ينادى بصوت رقيق متواضع .

- جولى ! ..

وناشدها ان تحضر ، وساوره الخوف وقتئذ من أن تكون قننا هربت الى الأبد ، وأخيرا سمع وقع خطواتها ورآها فوق عتبة الباب وهى لا تزال بشباب النوم وعليها الروب دى شامبر ، ولم تكن عادتها ان تفعل ذلك ، وكانت شاحبة اللون ، ولكنها ابتسمت

له ابتسامة حاسمة ، توحى أن حياتهما اليومية مستمرة .  
وسألها : هل تأخر بنا الوقت ؟ .  
وأجابت : نحن فى منتصف الساعة الثانية .  
وكان يبدو له ان الساعة لم تتجاوز منتصف الثانية هبيرة  
ظهرا وكان ردها هذا قد زاد موقفه سوءا .  
وقالت له :  
- سأتيك بفنجان القهوة .

وكان على وشك أن يستدعيها اليه ويمسك يدها ويسألها  
الصفح ، ولكن الامر يجب أن يجرى على غير ذلك ، فقد كانت  
هى فى جانب الصواب ، وعندما جاءت بالقهوة التى لا بد أن تكون  
قد سخنتها فوق ركن الموقد ، لم يكن هناك سوى السواد المحيط  
يعينها وشحوب لونها للدلالة على ما حدث فى الليلة السابقة .

- هل أنت جائع ؟ .  
- لست جائعا الآن ! هل كنت مريضا ؟ .  
- لقد شاهدت ما يدل على المرض .  
ولم يكن واثقا مما حدث على وجه الدقة ولهذا سألها :  
- هل كان ذلك فى غرفة النوم ؟ .  
- فى غرفة النوم وفى الحمام .  
- أنا آسف .  
- لست أنت المسئول عن ذلك .

ولقد آله ان يسمع هذا الصوت الخالى من الصليل او  
الانحراف وبسط يده ليمسك بها يدها ، ولكنها كانت أبعد من أن  
يصل اليها ولم تتقدم نحوه .

- جولى !  
- نعم ! .  
- هل أنت غاضبة جدا على ؟ .  
- ليس ثمة داع لان أغضب . . .  
- ألم اكن أحقق ؟ .  
- نعم بالتأكيد .  
- اعترفنى لى . ألم اقل عبارات مجنونة ؟ .

- لقد قلت ما كنت تفكر فيه .  
وعلى حين فجأة شعر انه لم يعد مستطيعا الاحتمال اكثر مما  
احتمل فرفع عنه غطاءه ، ووقف على قدميه واحس انه يبدو  
سخيفا بساقيه العاريتين ، ومضى الى حيث اخذ ثوب النوم  
من المشجب وقال :

- اسمعى يا جولى .

- اليس الأفضل لك أن تبقى فى الفراش ؟ .

- اتوسل اليك ، لا تتكلمى هكذا ، أنك لا تستطعين تصور  
كم يؤلنى هذا ، فانى أشعر وأنا اسمع صوتك أن امرأة غريبة  
واقفة امامى وليست زوجتى ! .

- زوجتك ؟ .

وكانت قد نظقت هذه العبارة بسخرية شديدة .

- طبعاً زوجتى .

ولم يستطع الانتظار طويلا فى هذا المشهد ، وآله سخفه  
موقفه ، وكان هناك ما هو أسوأ من ذلك وهو ذلك الصداق المؤلم  
فى رأسه والتقلصات الشديدة فى صدره ، وأحس كما لو أن  
قلبه على وشك التوقف عن النبض .

- اسمعى .. اننا لم نعد طفلين بل نحن ناضجان نحن الاثنين  
لقد اضطررت الى الشراب فى الليلة الماضية و ..

ولم يكن هذا صحيحا ، وأشعره الكذب بالضعة .

- وأنت تعرفين انى حينما أبدأ الشراب لا أستطيع التوقف .  
وقد قابلت بعض الاصدقاء القدماء .

- داجوبير .. لقد حدثتنى عنه .

- الا يحزنك هذا ؟ .

- كف عن الكلام يا انطوان ، ما جدوى الكلام ؟ أنت متعب .  
وكذلك أنا متعبة ومهما قلنا من كلام فلن يفيدنا ذلك شيئا ، وخير  
لك أن تستحم الى أن اعد المائدة .

ولم تترك له فرصة للرد بل مضت الى داخل المطبخ ، وربما  
لكان هذا أفضل شيء على كل حال ، فقد كانت معدته خاوية

لا تسمح له بأى نصيب من الكفاح . والكلام يزيده ضعفا على ضعف كما ان القهوة لم تمنشه .. بل قلبت عليه معدته .

ولما كان فى الحمام عادت تشنجات قلبه تعذبه وتؤلمه الى حد كاد معه يصرخ مستغيثا ، ومرت به اربع دقائق وهو يتصور انه يحتضر ، ولكنه كان يعرف ان هذا لم يكن صحيحا ، وعندما اكانا فى فندقهما بميناء الهافر استدعيا الطبيب الذى فحصه وكانه يعلم مقدما ماذا كان هنالك وقال بيروود :

— ليس هناك أى خطر .

— ماذا هناك اذن يا دكتور ؟

ونظر الطبيب اليهما كليهما وقال بجفاء :

— انه من تأثير الخمر .

وقد اذله هذا التعبير وثار على نفسه ، ثار على هذه اللفظة المجنونة ، تلك اللفظة التى دفعته فى الليلة الماضية الى ارتياد اول بار على الطريق ، ولم تكن هذه اول مرة يجرى له فيها هذا الامر وكان يعرف مقدما نتيجة ما هو صائر اليه .

لماذا كان يهتم جولى دائما على نحو يجعل أى واحد يراه كذلك يعتقد انه على وشك ان يكرهها ، وكان ينحى عليها باللائمة لانه كان يشرب بضع كئوس خمر ، ولكن ما سبب لومه اياها يا الهى لقد كان سعيدا معها ، لماذا الاصرار على جعلها تظن انه لم يكن سعيدا .

لابد انه تمادى الى اكثر مما يجب ، وفى المرات السابقة كانت تحزن وتيأس ، ولكن لم تبد من قبل بمثل هذه الصورة المخيفة فهى اليوم تبدو وكأنما فقدت عضوا حيويا من أعضائها ، ولكنها لاتزال حية تعمل القهوة والحساء ، كأنها لم تكن هى جولى بل كانت كأننا ناقصا بلا شخصية ، بل يعمل فقط تحت تأثير الخطر .

وبعد ان ارتدى البنطلون أسرع باللحاق بها فى المطبخ ولما كانت مولية ظهرها نحوه فانه انتهب الفرصة واحاطها بدراعيه .

وقال : اسمعى يا حبيبتي جولى .. يجب الا تصدقنى حرفا

واحدا مما قلته لك .

— هل تذكر ما قلته لى ؟



- لا أذكر شيئاً قط ، ولكنى أذكر أنى كنت جديراً  
بالكراهية .

ولكنك قلت ما كان يدور بخلدك .

- طبعاً لم يكن ما قلته معبراً عما يدور فى خاطرى ، وقد  
قلت كثيراً من الهراء الأحمق ، وسلكت سلوك الغبى الفخور . . .  
اسمعى أن الممثل الهزلى الذى حدثتك بشأنه . . .  
- ماذا ؟ .

- سخر منى . انى تقريباً أعرفه ، ومع ذلك فقد لعب معى  
لعبة مصاصى الدماء وتستطيعين أن تراهنى على أنه ليس لديه  
عقد للعمل فى ثيفير أو أى مكان آخر .  
- الفداء معد . تعال الى المنضدة .  
- لست جائعاً .  
- حاول أن تأكل قليلاً .

- انى أشعر بتحسّن كبير فى صحتى لو أنك صدقتنى .  
ومشت أمامه ويدها صحن فيه قطع من اللحم . وفى نيتها  
أن تضعه على المنضدة ، وكانت البازلاء من البازلاء المحفوظة فى  
العلب لأنها لم تخرج الى السوق لشراء لشيء .

- كف ياأنطوان عن الإشتغال ، لقد فهمت كل شيء ، فى  
الليلة الماضية ، ولن أزعجك بعد الآن ، وتستطيع أن تفعل  
ماشاء ، وعلى أية حال فإنه لا يبدو لى انى اعترضت سبيل أى عمل  
لك .

- ولكنى أريدك ان تعترضى سبيلى وأن توقفينى عند حدى .

- حتى تصفنى بعد ذلك بأنى من أسرة ترافو ؟ .

- أعتذر عن ذلك ، فانى لم أكن أدرى ما أقول .

- كلانا يدرك تماماً معنى هذا الوصف عندك ، فأنت كنت

تحتقر أسمى .

- هل كانت مقبولة ؟ .

- كلا .

- ألم تكن تصفنى بانى المهرج ؟ .

وكانت الام امرأة ضئيلة الحجم مضحكة بنحافتها وسلطة لسانها وما كانت لتحدث ابنتها بشانه دون ان تقول :

- زوجك المهرج !

فاذا راته داخلا قالت :

- ها هو ذا انطوان المهرج !

وكانت تبتكر طريقة جديدة لاذلاله بعقربة شيطانية عشر

مرات أو عشرين مرة يوميا .

- لم يكن فى استطاعتك يا جولى أنت نفسك ان تسايرها

ولقد قلت لى مرارا انها حطمت حياتك عمدا ويدافع الانانية

ومخافة ان تقضى الايام الاخيرة من حياتها وحيدة .

- كيف قادنا الحديث الى الكلام عن امى ؟

- لقد كنت اتت التى . . .

ثم راجع نفسه فما الجدوى ؟ لقد كان عليه هو ان يلتمس

الصفح لا هى .

- ان ما اصر على ان تعليمه هو انى سعيد معك وكل ما قلت

لك فى الليلة الماضية لن يغير هذه الحقيقة ، فانى لم اعرف

للسعادة طعما قبل ان اعرفك . اسمعى . لقد كنت منذ لحظة وأنا

فى الفراش . . .

وعاد اليه ذلك الامر ، ولا بد انه فكر فيه فى فترة ما من تلك

الفترات التى كان يتأرجح فيها بين اليقظة والنوم ، فمنذ لحظة

كان يحلم بامرأة تبدو فى صورة اليس ومع ذلك فلم تكن هى تماما

وكان يتحاشى دائما التكلم عن اليس على الرغم من معرفة جولى اباها

ولم يكن من الضرورى على اية حال ان يستعيد ذكراها بضد ما كان

على وشك ان يقوله :

- كم كان عمري عندما قابلتك ؟ الم اكن فى الرابعة والاربعين

من عمري ؟ انها السن التى يكون الرجل فيها قد قطع مرحلة

كبيرة من عمره .

وكانت جولى وقتئذ فى السابعة والثلاثين من عمرها وكانت

على ما هى عليه الآن من بدانة ، وكان منظرها عجيبا وهى واقفة

بكل هذه البدانة بجوار امها النحيفة كل النحافة .

- لقد كنت منذ لحظة وأنا فى الفراش كنت أحاول أن أتذكر  
- ماذا ؟ .  
- لم يكن شيئاً خاصاً ! انها حياتى السابقة لجرد انى سعيد  
وأوازن بين الحاليين .  
- هل أنت مضطر لهذا لكي تطمئن كل الاطمئنان ؟  
ويجب الا يفضيئ مهما حدث ، يجب أن يظل هادئاً صبوراً .  
- دعيني أوضح لك افكارى ، ان جاز لك أن تسميها أفكاراً  
وأنت تعرفين حال المرء وهو شبه يقظان .. كنت أقول لنفسى ؛  
قبل ان اعرف جولى لم اكن أحيا ، وأستطيع اثبات ذلك .  
وأنا فى الواقع أذكر كيف حدث هذا ، كنت أفكر فى ذلك الممثل  
الهزلى الذى زعم انه يعرفنى منذ ان كنا نعمل فى مقهى «بأكرا»  
على حين انا لا أذكره مطلقاً ، ولقد أقيمت فى ذلك المقهى أكثر من  
أخمسين حفلاً ومع ذلك فأنا لا أذكر لون المقاعد ، والى اى جانب  
من جانبي المسرح كانت غرفة الثياب ؟ وينطبق هذا على كل مكان  
آخر عملت فيه أو عشت فيه الا ذلك البيت الذى أقيمت فيه مع  
أمى حتى بلغت السابعة عشرة من عمري .  
وكل ما أعرفه هو انى انتقلت من هذا المكان الى ذلك أو عشت  
فى هذا البيت أو ذاك .  
انتظرى . أظن انى سأستطيع أن أوضح لك شعورى ؛  
يحدث أحياناً فى بعض دور السينما أن يستمر عرض الفيلم  
كصورة على حين ينقطع عنه الصوت ، ومع ذلك ترى المشاهدين  
يتحركون ويتكلمون ويبتسمون ولكنك لا تدركين معنى ما تترين  
لأن الصوت لا يصل اليك فلا تكون فى الفيلم حياة ..  
- الا تريد شيئاً لتأكله ؟  
- الا يهملك هذا الذى أقوله لك ؟  
- لا يهمنى .  
- انه ليس الصوت وحده هو الذى ينقص ذاكرتى ؟ وحتى  
هندما تكون ذكرياتى واضحة وضوحاً بشير العجب وكأنها نقوش  
بارزة لا تكون حقيقية ؟ اذ تنقصها المادة والرائحة ، هل تفهمين ؟  
وردت عليه بابتسامة حزينة ؛

– الا تصدقيني ؟

– اعتقد أنك تحاول أن تكون سعيدا وانك تبذل كل ما فى وسعك لاقتناع نفسك بذلك ، وقد استمرت حالك هكذا خمس سنوات ، وأذكر أولى تلك المحاولات ، كانت قبل وفاة أمى سنتين .

– كنت اشرب قبل ذلك ؟

– نعم ولكنك كنت تشرب بين الحين والحين .

– لم أكن ادمن الشراب اذ لم يكن للخمر التأثير نفسه على .

وقد حدثتني بنفسك فقلت : انك قبل ان تعرفنى كنت تقضى

الليالى مع اصدقائك .

لم أندم على شيء ، ولم أوجه الى نفسى أى اسئلة لأنى لم اكن

أسىء الى أحد .

وانقضت دقيقة فى صمت وعلى حين فجأة ناداها وفى ملامح

وجهه اتوسل والبهجة معا :

– جولى !

فزع جولى ونظرت اليه بعينين خاليتين من التعبير .

– ابتسمى يا جولى !

– هل تصر على أن أحاول ؟

– هل تفصدين انك لاتستطيعين الابتسام لى ؟

– انت ترى انك حطمت شيئا .

ونفض يائسا اذ لم يعد الاستمرار مجددا ، وكان على صواب

قضى تفكيره عندما استيقظ ، وكانت نتيجة هذا التفكير الفكرة

القائلة بأنه قد حدث شيء لاعلاج له ، وكان رأسه ثقيللا ، وذهب

الى غرفة مكتبه وحدث فى مكتبه ما يحدث له فى كل مكان آخر ؟

وجده هو الآخر خاليا من الحياة ، ولمس أشياء بدت غريبة عليه ؟

لم يعرف أين يجلس ولم يعد مستطيعا أن يجد مكانه فى الشقة .

وهناك حقيبته لم تفتحها وهما على الأرض فأفرغهما بطريقة آلية

ووضع كل قطعة من أدواته فى مكانها ، ولكن قبل أن ينتهى من

عمله هذا أسرع الى الحمام ليتخلص من ذلك القدر القليل من

الطعام الذى كان قد تناوله .

وكانت جولى وقتئذ منعمكة فى رفع ما على المنضدة فجاءت  
وفتحت الباب قليلا لترى ماذا به ؟. وخجل من نفسه فطلب الى  
جولى ان تذهب بعيدا عنه ، ولم يكن قد القى نظرة على خارج البيت  
ولم تكن لديه اية فكرة عما كان عليه الطقس . وكانت نافذة الحمام  
لا يزال زجاجها المغطى ببخار الماء ابيض كالثلج كما كان فى  
الصباح .

وبدا ان من الخير له ان يرتدى ثيابه وان يخرج ، لن يشرب ،  
فليست به رغبة فى الشراب ويستطيع وهو على الرصيف ان يدور  
حول مجموعة البيوت التى بينها بيته بضع مرات ثم يعود .  
وعقد ربطة عنقه وارتنى سترته وعبر غرفة النوم وذهب نحو  
المشجب الذى عليه معطفه بالقرب من باب المسكن . وكان على  
وشك ان يذهب الى المطبخ ليقول لجولى : انه خارج ، ولكنها فتحت  
الباب وقتئذ وحدقت النظر فيه نظرة قرأ فيها شيئا قريبا من  
الجنون !

- هل أنت خارج ؟.
- سأغير الهواء قليلا .
- بدون ان تقول لى ؟.
- كنت على وشك ان اقول لك .
- وكانت بيدها مقلاة .
- وقال: سأعود حالا .

وخرج على بسطة السلم واغلق باب الشقة وراءه ، ثم زرن  
معطفه واخذ يهبط السلم وكان يحس انه من الخطأ ان يهرب بل  
شعر انه ارتكب خطيئة ، وعلى الدرجة الثالثة من السلم تردد ونزل  
درجتين آخرين ، وفى تلك اللحظة انفتح الباب وخرجت منه جولى  
أخرى لا يكاد يعرفها ، جولى التى استبد بها الخوف ونادته بدون  
ان تتحرك من مكانها اول الامر .  
- انطوان !.

وفقدت كل سيطرة لها على نفسها ، فألقت بنفسها عليه وهى  
بثياب النوم منكوشة الشعر وبداها ملوثتان بدهن الصحن . ولم  
يسبق حدوث مثل هذا لها قط ، وخطر بباله من مظهرها انها  
رجعت او ان حادثا قد وقع لها فى المطبخ ، وظل واقفا فى مكانه

معتدلا فى وقفته على السلم على حين انها متعلقة به تصيح غير عابئة  
بالجيران وهم يسمعونها :

- تعال هنا ! عد الى ! اتوسل اليك ! لا تتركنى يا انطوان !  
لا استطيع لا استطيع !.

وظللت تردد هذه الكلمات التى تقطعها التآوهات وهو يتبعها  
الى داخل الشقة :

- لا استطيع !. لا استطيع !.

وعندما اغلق الباب انهارت وهوت على قدميه تحيط ساقيه  
بذراعيها وهى تمرغ وجهها المغطى بالدموع فى ملابسه .

- سامحنى ! سامحنى ! اذا لم اكن دائما كما تريدنى ان اكون . .  
ليست الفلظة غلطى ، انى ابذل قصارى جهدى ، اقسم لك انى  
ابذل قصارى جهدى . . .

ولم يستطيعا ان يبقيا فى هذا الموقف ، ولم يكن مستطيعا ان  
يسمح لها باجهد نفسها اكثر مما فعلت .

- انهضى يا جولى .

- قل لى : انك سامحنى . .

- ليس هناك ما اسامحك من اجله ، بل انا الذى يجب ان . . .

- انت تعرف جيدا ان هذا ليس صحيحا ، وقد كنت انت على  
صواب فى الليلة الماضية . . .

- اقسم لك . . .

- انا عاجزة عن اسعادك على الرغم من انى احاول ذلك بكل  
ما اوتيت من قوة .

- قفى !.

وساعدها فى الوقوف وضمها الى صدره واخفت راسها فى  
صدره

- هل انت غاضب منى جدا يا انطوان ؟

- لم اغضب منك قط .

- هل تكرهنى ؟.

وكانت مستمرة فى نحيبها وتنهداتها العميقة التى لا بد ان تكون  
اقد مزقت حلقتها وكان صوتها يقطع نياط القلب .

وقال : تعالى بنا ، ولا تدعينا فى موقفنا هذا طويلا .

وقادها نحو عرفة نومهما وحاول أن يرفدها على فراشها الذي لم يكن قد سوى بعد ، وأخيرا سمحت لنفسها بأن تغطس في الفراش وهي لا تزال تبكي وتناديه بصوت يقطر عذابا كما لو كان في يمينه أن يذهب .

– لا تتركني يا انطوان ! أنت حياتي ، لا أستطيع احتمال أن أعيش وحدي . وإذا أنت تركتني . . .  
– لن أتركك .

وخلع معطفه ووضعه على مقعد وألقى قبعته على الأرض ثم وقد بجوارها لتهدئتها .  
– كفى عن البكاء ، وكفى عن الخوف ، فانا الذي كنت أحرق وكريها .

وهزت رأسها في عنف .

– أنت تعرف أن هذا غير صحيح ، أنا حمقاء ، وأنا أريدك بجوارى طوال الوقت فانا متعلقة بك ، ولا أمنحك أية حرية فانا شديدة الخوف كما ترى .

وكانت ممسكة به وتتطلع اليه من خلال دموعها .  
وأصبحت الآن تتكلم بهدوء :

– رحمة بي يا انطوان ، لا تتركني أبدا ! انا قبيحة الصورة وعجوز وحمقاء ! انا من أسرة ترافو كما تقول ، أى نعم انا كذلك وأدرك هذا تمام الإدراك . واني لأبذل قصارى جهدى فى الا اكون كذلك وأن أصبح مثلك . وقد ظلت أبذل هذه المحاولات طوال الاحد عشر عاما التى انقضت علينا معا ، الا تزال تحبني يا انطوان حتى بغض الحب ؟ قل لى !  
– أحبك .

ولكن عندما حاول أن يقبلها أبعدت عنه رأسها .

– كلا ليس ذلك الآن ، أريد أولا منك أن تعرف انى شديدة الخوف من أن أفقدك الى حد انى أحيانا أتبعك فى الشارع بدون أن تعلم أنت ذلك ، ذلك الماضى الذى كنت تتحدث عنه الآن اغار منه هجرة شديدة ، لا ممن فيه من نساء فحسب ، بل من الرجال الذين إكاثوا فيه أيضا : من أصدقائك القدماء ، وكل من كنت تعرفهم قبل أن تعرفنى ولا أستطيع التخلص من هذا الاحساس بانك كنت فى

ذلك الماضي سعيدا واننى افسدت عليك حنااتك باكراهك على مشاركتى فى حياتى .

وابتسم ابتسامة رقيقة وقال : اكرهتنى ؟ .

وارتسمت على شفيتها شبه ابتسامة هى الأخرى وقالت :

– الم تلاحظ ذلك ؟ هل تتصور أنك كنت أنت الذى بدأ الخطوة

الأولى ؟ .

وكان صوتها أجش عندما قالت له فى توسل :

– قبلنى .

وأغمض أنطوان عينيه وهو يقبلها

وحالما استعادا أنفاسهما همست فى أذنه فى تلثم :

– ألن تهجرنى ؟ .

– أبدا .

– بالرغم من كل شىء ؟ حتى لو . . .

– لو . . . ؟

– لو زدت حماقة وغيره ؟

ولم يفتح عينيه ، وكان جميلا ذلك الشعور بأنها بجواره ، ولم

يهد يعرف : هل تنظر إليه او هى الأخرى مغمضة عينها ؟ وكان

شديد التأثر ، ولم يعد رأسه يؤلمه وان كان يشعر بشىء من الدوار ،

– احبك يا أنطوان .

– وأنا أيضا احبك .

– أنت وسيم .

وتذكر عندئذ تلك النظرة التى كانت تنظرها اليه فى أول

مهدهما فى فندق « لاوربول » عندما نزل بسترته الطويلة وقناعه

الأسود يقطى وجهه ليقدم عرضا لالعابه فى غرفة المائدة حيث

أزبحت الموائد الى جوانب الجدران .

وقبلها وعمهما الصمت . وعلا ضجيج أبواب سيارات التاكسى

والسيارات العامة عند الناصية .

وهمست قائلة :

– أنطوان ! .

ولكى يشعرها بأنه منتبه مر بيده على شعرها ،

– لقد أوشكت الشمس أن تغرب .



وفتح عينيه ورأى على الجدار خيال الستائر الداتسلا الذي  
القته الأضواء الآتية من الخارج .  
وقال لها : هل تخرج فى نزهة ؟  
- لست مرتدية ثيابى للخروج .  
- ارتديها الا اذا لم تكونى راغبة فى الخروج .  
- اى نعم ، لولا انى خائفة بعض الشيء من أن أضىء النور .  
- لاتضيئيه ..

- وما رأيك فى شعرى ؟ . . سأسرع ، وامض أنت ياأنطوان فى  
قراءة جريدتك وأنت تنتظرنى . .  
وقرا جريدته فى غرفة المائدة وهى الفرفة التى جعلنا منها  
غرفة جلوسهما ثم صنع لنفسه قدحا من القهوة ثم ناداها عسى  
الباب .

- هل تريدن بعض القهوة ؟  
- ماذا ؟ .

- بعض القهوة . .  
- أشكرك . .

- أتشربين فتشكرينى أم لا تشربين فتشكرينى ؟ .  
- أشكرك ولا اشرب .

وسرهما هذا الحوار كأنه لعبة ، وشعرا وكأنما قد عادا الى أيام  
براءتهما ، وكان أنطوان فى عجلة من أمره يريد الهواء المنعش . وكانت  
القهوة التى يشربها كالقهوة التى يشربها عادة فى الصباح ، وهناك  
بعض الأشياء التى لا يتذوقها المرء الا فى لحظات الأزمات أو عندما  
يخاف فقدما مثل صوت وقع الأقدام على الرصيف الذى  
يفطيه الجليد ، أو منظر حانوت الخضرى والرائحة التى تنبعث منه الى  
أنفك ، أو أضواء سيارات التاكسى وهى تدور حول ميدان التين  
وأصوات أبواق السيارات وهى تتجمع فى سيمفونية واحدة .  
وارتدت هى أفخر ثيابها وسترتها الجديدة ، ووضعت فى يديها  
رقفازها وابتسمت فى حياء :

- هل جعلتك تنتظر وقتا طويلا ؟  
- كلا .

- ما رأيك فى مظهرى ؟ .

— أحبك؟ —

— على الرغم من قبحي؟ —

واستطاعا الآن أن يتندرا:

— انتظري كدت أنسى صنبور الغاز مفتحاً ، هل معك

المفتاح؟

— نعم معي ..

وهبطا السلم وكلاهما متأبط ذراع الآخر وضحكا مرتين عندما

تمشرت جولى فى حاجز السلم ، ولما خرجا من البيت هب على

وجهيهما الهواء المنعش ، ولما امتلات رثاهما بهذا الهواء نظر كلاهما

إلى عيني الآخر البراقتين .

وقال وهو يتأبط ذراعها : لقد كنا غبيين ! ..

— هل أنت واثق من أنك لست شقياً ؟

وتظاهر بالفضب ..

— هل سنعود ثانية الى هذا الجدل ؟

— اعرف أنك لست شقياً أو على الأقل أعتقد ذلك ، ولكنى كنت

أريد التيقن فحسب .

— أين نحن ذاهبان ؟

— الى أى مكان .

وكان معنى هذا أن يبدأ بالذهاب فى شارع وأجرام حتى

للأنوال وكانت الساعة وقتئذ منتصف السادسة بعد الظهر . وكانت

الحوانيت مضاءة ودور السينما مضاءة واللافتات فوق المقاهى

براقة .

وقال لها وهما يتطلعان الى معرض للفوتوغراف والراديو :

— نعم .

— ماذا ؟ قل أنت أولاً .

— هل فطنت حقاً الى ما أريد ؟

— أظن ذلك ..

— لنتناول عشاءنا الليلة فى أحد المطاعم ، هل هذا ما خطر

لك ؟ هل لديك الفكرة نفسها ؟

— نعم ..

— هل تحبين ذلك ؟

- ان شئت ؟
- هل تفضلين تناول العشاء فى البيت ؟
- كلا .
- هل تنتزه بالمشى اولا ؟
- نعم .
- هل يكون ذلك فى الشانزليزيه ؟
- ومضيا يتأبط كل ذراع الآخر ورأيا نفسيهما دون أن يلاحظا ذلك وسط زحام على الرصيف فى موكب وكانا يقفان عندما يقف الموكب امام نوافذ الحوائت ثم يمضيان كأنما بإيماء من اشارة .
- هل انت سعيدة ؟
- وانت ايضا ؟
- أنا أسعد الرجال ، اما فى الصباح فقد كنت خائفا . .
- مم ؟
- من أن أكون قد كسرت شيئا لا يمكن جبره .
- واكتفت بأن ضغطت على معصمه بأصابعها .
- صه .
- أنا فى الحقيقة مسكين .
- لا تقل ذلك .
- هذا صحيح وانت تعرفينه .
- احبك .
- ان هذا لا يغير حقيقة . انى غير نافع .
- وبدلا من ان ترد عليه هذه المرة اشارت الى سيارة امريكية كبيرة فى معرض للسيارات وقالت :
- انظر . . .
- وكانا لا يزالان يشعران بالفراغ ولكنهما شعرا بأنهما فى حالة تقاهة ، واستمرا فى السير حتى بلغا المادلين وهناك كان مقهى مغطى يجدار من زجاج وقد دفىء بحرارة موقد .
- هل نجلس لحظة ؟
- وكانت كئوس الشراب على كل منضدة تقريبا . وخشى ان الخاف جولى ، بل لقد احمر وجهه خجلا لانه فكر فى احتمال ان

يدور هذا خاطر بخلدتها ولكى يرد على سؤال لم يوجه اليه تمت  
قائلا .

— استطيع الاكتفاء بزجاجة من ماء فيشى .  
وتحاشى النظر اليها . . ولكنه كان يعرف انها لم تبتم .

### الفصل الرابع

وكان يرتدى سترة التدخين من المخمل الأسود التى كانت جولى  
قد أعطته اياها بمناسبة عيد ميلاده منذ عامين وقد شبك وردة  
بحمراء بدبوس فى كوفيته الحريرية البيضاء ، وبالرغم من أن  
الساعة كانت العاشرة فان المصباح فوق مكتبه كان مضاء وكان يعمل  
فى نطاق دائرة النور التى يلقيها المصباح على المكتب، وكان يعمل  
بصبر فى جمع أحرف من المطاط من صندوق يشبه تلك الصناديق  
التى تقدم للاطفال فى أعياد الميلاد ، وكون من هذه الأحرف ثلاثة  
أسطر ليطبعا فيما بعد على ثلثمائة نشرة دورية تحمل صورته ،  
وكان من عادته أن يضع عبارة كهذه . . على مثل هذه النشرات  
ويعلق على ذلك أهمية كبيرة . وكان قد فسر ذلك لجولى ذات مرة  
اذ قال : ان اليوم مثلا هو منتصف شهر يناير وفيه موسم الاستعداد  
لعيد الفصح فيتخير له العبارة الملائمة .

وكان أنطوان قد اختار هذا العمل المجهد عن قصد . وكان  
اليوم الثانى أكثر اجهادا من اليوم الأول لأن النشوة التى أحسها  
فى اليوم السابق قد خمدت فى اليوم الثانى ووجد أن ذكرى حمى  
الحب التى أصابتهما فى الليلة الماضية تثير الحيرة والارتباك كما  
يحدث تماما بعد بروج لى رين .

ولم يكن هذا هو شأن جولى ، فقد كانت مستطبعة ان تعيش  
الى الأبد فى هذه النشوة ، وكانت صباح اليوم تسلك سلوك العروس  
الصغيرة ، وكانت فى هذه اللحظة تفنى وهى ترتب غرفة النوم .  
ومع ذلك فقد كانت متيقظة قلقة بشأن اقل انفعال قد يحدث من  
أنطوان ، بل انها شغلت مرتين فى اثناء تناول طعام الافطار عندما  
واته مكتئبا قليلا .

ولم تذكر ذلك بل ترجمت شعورها هذا بلحظات خاطفة ، ولكى  
يحول دون أن تفكر عميقا قال بسرعة :

- انى اتساءل هل بكبدي تعب ؟  
- انك لاتبدو بصحة جيدة ، فلماذا لاتستريح يومك كله؟  
وكان ينتظره اربعة ايام بلا عمل . ففى كل سنة وبعد اعياد  
واس السنة يقل العمل حتى نهاية شهر يناير .  
- انى افضل ان اتم هذه النشرات وهى لا تسبب لى تعباً .

ولم تكن تشعر بشعوره نفسه وكان من الممكن ان تقضى بقية  
بجياتها فى حال النشوة التى اشتركا فيها فى الامسية الماضية .  
- هل اصنع لك كوبا من الشاي ؟ .

وقبل هذا العرض ليؤيد ما زعمه من تعب فى كبده ، وكان  
ممكنا على اية حال ان تكون كبده تؤلمه وان كان تعبهُ هو فى الواقع  
معنويا كما كان جسديا ، وكان لونه يميل الى الصفرة وكان يشعر  
بمرارة فى فمه .

وكانت حاجته الشديدة انما هى الى العودة للحياة العادية  
بحياة كل يوم ، وكان يحاول ان يستأنف حركاته العادية البسيطة  
ولكنه لم يملك الا ان يشعر بأنه يمثل دورا . اليس هذا سخيفا ؟  
المجرد انه شرب بضع كئوس من الخمر جلب مأساة من لا شيء؟  
والآن هاهو اذا عاجز عن العودة الى مجرد حالة الاعتدال فى  
الشراب .

- هل تشعر بان درجة حرارتك عالية ؟ .

- لا بأس بى .

- هل اقلك ؟ .

واوماً براسه باسمه ، وكانت ابتسامته سيئة ، كان فى الخامسة  
والخمسين من عمره ، وكانت هى فى الثامنة والأربعين من عمرها .  
وقد كان سلوكهما فى الليلة الماضية سلوك عروسين وذهب الحب  
بجولى الى حد انها نسيت كل شيء وهما فى المطعم حيث تناولا  
العشاء ! .

وكان هو الذى اختار المطعم بالقرب من دار الأوبرا ، وقد  
تسبق له ان اصطحبها الى ذلك المطعم ذات مرة من قبل ، وكان ذلك  
بمناسبة ذكرى يوم زفافهما لان تكاليف ذلك المطعم باهظة وأطعمته  
لفاخرة وكانت جولى متلهفة على هذه الأنواع من الأطعمة .

— هل تظن أن ثيابي تليق بي للذهاب الى هناك؟  
وكانت منضدتهما بالقرب من أحد الأعمدة ولم يكن أول شخص  
راه أنطوان سوى ذلك الرجل ذى الشارب والشاربة . وكان قد  
أخطأ فى الليلة الماضية حين ظنه موظفا مدنيا ولو كان كذلك لوجب  
أن يكون ذا مركز عال ، وربما كان مدير مصلحة ، فقد كانت ثيابه  
قاية فى الاناقة ، وكانت فى صحبته امرأة حسناء فتية ، وكان ثوب  
سهرتها يكشف عن كتفيها العاريتين وفى اصبعيهما خاتما زواجهما  
واستنتج أنطوان من سلوكهما انهما زوجان .  
— الى من تنظر؟

ثم أخطأت وجهة نظره فقالت :

— انه لؤلؤ حقيقى .

أما الرجل فلم يره الا بعد قليل ، وكادت عيناه تمران به دون  
أن تلحظه ثم تجهم وجهه كمن يتساءل : أين رأى هذا الوجه من  
قبل؟

وكان وجهه خاليا تماما من اثر الشراب الذى أكثر منه فى الليلة  
الماضية .

وكان أديم وجهه وردى اللون حليقا تنبعث من شاربه رائحة  
عطر .

وخمن أنطوان الكلمات التى كانت على شفתי المرأة .  
— من هذا؟

وربما كان الرجل يجيب بقوله : ان هذا هو ما سأل نفسى عنه .  
ولم يستطع الاهتداء الى أين كان اجتماعهما ، وفحصت رفيقته  
جولى بدقة وهمست شيئا فى أذنه ثم ضحكت ، أما هو فقد ابتسم  
ابتسامة عجب واستمتع فى الوقت نفسه .

ماذا قالت ؟ لم يكن أنطوان وكذلك لم تكن جولى يرتفعان الى  
مستوى رواد المطعم ، ولا بد أن يكون الجالسون فى المطعم قد ظنوهما  
ريفين أو جاءا يحتفلان بعيد زواجهما .

— هل تحيينى؟

كانت هذه هى لعبة المساء ، وكانت تسأله هذا السؤال  
لقى خبث باسم كل خمس دقائق .

— ستقول لى يوما ما وأنت صادق لماذا احببتنى؟

وسبقهما الرجل ذو الشارب والشاربة وصاحبته الى الخروج  
وعندما هم الرجل بالوقوف كان قد تذكر ، وراى انطوان فى وجهه  
تفسيرا ، وراى حمرة الخجل ترتسم على وجهه وانه تحاشى النظر  
اليه هو وجولى فى اثناء مروره بمنضدتهما! .  
- هل أنت واثق من أنك لاتعرفهما ؟ .

- بالتأكيد .

- لقد ظلا يرقبانك طوال الوقت . ربما رايك وانت تقدم العابك

اقى مكان ما .

لماذا تشغله هذه الذكرى ، ألم تكن مجرد مصادفة عجيبة ان  
يلتقى بالشخص نفسه ليلتين متواليتين فى مكانين مختلفين ؟ والشئ  
الزعرج هو وجود بعض المشابهة بينهما وهى مشابهة ملحوظة كتلك  
التي تكون بين اخوين وخصوصا عندما يكون انطوان فى ثياب العمل ،  
إما رفيقته فقد كانت اصغر منه بعشرين عاما ، وهى من تلك النسوة  
اللاتى يخرجن من السيارات الكبيرة وهن غارقات فى معاطف الفراء  
امام الشانزليزيه او عند باب حائكة الثياب .

وكان بين الحين والحين يلتقط الحرف الخطأ فيبدأ الكلمة من

جديد .

- هل أنت فى حاجة الى شئ ؟ .

- لا ، واشكرك .

- هل أنت احسن حالا ؟ .

- نعم .

وكان مكتبه يظل على قناء البيت والجليد الرقيق يتساقط .  
وكان الطوب فى الجانِب الآخر اسمر داكنا ، والنافذة المقابلة اكثر  
انخفاضا من نافذته . وكانت نافذة حائكة ثياب حيث تعمل مجموعة  
من الفتيات القبيحات الضورة وكل منهن تعمل فى ضوء مصباح  
كهرى معلق بجبل فوق رأسها ، وغالبا ماكان يعد رعوس الفتيات  
انها ثمانية رعوس كأنها رعوس خشبية حول منضدة ؟ .

وكان مقاله فى الليلة السابقة لجولى عن ماضيه صحيحا .

ولم يجب الطريقة التى تحدث بها عن ذلك الماضى لانها بدت طريقة  
تخيلية ، ولكنها كانت على العموم تعبر تعبيرا صادقا عن حقيقة  
شعوره . وكانت هناك حقيقة فى كل شئ قاله .

ويجب الا يفكر المرء فى مثل هذه الامور والى اين يودى التفكير  
بالمرء فيها ؟ هل حدث ان شغل نفسه بها من قبل ؟  
وعلى حين فجأة رأى نفسه يوجه هذا السؤال الى نفسه دون  
ان يجد له جوابا !  
وكانت جولى قد قالت له :

— كانت عادتك من قبل ان تشرب الخمر بين الحين والحين . . .

كان هذا صحيحا ، فلماذا اصبح لذلك فجأة مثل هذا التأثير ؟  
هل كان سببه تقدمه فى السن وان الشيخوخة لم تعد تحتل  
الكحول ؟ .

ولكن لماذا كان دائما ينحى باللائمة على جولى ؟ ولماذا ذلك دائما  
الطريقة نفسها بل العبارة نفسها تقريبا ؟ .  
انه لم يكذب عندما قال لها :

— انه لم يكن ينعم بالسعادة قبلها الا عندما كانت امه بين الأحياء  
ولم يكن يجب عليه ان يذكر لها ذلك المثل الذى ضربه لها وهو مثل  
الفيلم الذى خلا من الصوت ، كانت فيه مبالغة وتعمد ومع ذلك  
فان الحقيقة هى ان ذكرياته تنقصها الحرارة الانسانية .

اولا لقد ظل عشرة اعوام وهو يقيم فى غرف مفروشة احيانا  
لانه كان شديد الفقر لا يملك استئجار شقة ، و احيانا لانه لم تكن  
به رغبة فى تعقيد حياته ، وفى تلك الفترة كان يقضى بعض يومه  
اقى بار جلوب فى شارع ستراسبورج وهو ملتقى الممثلين والفنانين  
الآخرين وحتى اذا لم يكن لديك ثمن الكاس تستطيع ان تجلس  
هناك مع جماعة من الفنانين او ان تقف بين الموائد تنتظر ان يتذكرك  
مخرج أو منتج ، ولا بد ان يكون قد التقى بداجوير هناك ، داجوير  
الممثل الهزلى .

وكان يستأجر غرفة بايجار شهري أو اسبوعى فى اغلب فنادق  
ذلك الحى بين ميدان الجمهورية وضاحية السماكين . وكان قلدا  
نطاف بالبلاد مع الفرق الجواله ، وذهب الى الريفير او الى بريتانى والى  
بلجيكا ، وذهب مرتين الى سويسرا ، وفى المرة الأخيرة تركهم مدين  
الفرقة بدون اى تقود ، واضطر قنصل بلادهم الى دفع جميع  
التكاليف !



هل كان تعسا وقتئذ ؟ لم يكن واثقا من هذا ، فقد انتهى امر  
ذلك كله الآن ، وقد تعود الناس الكلام عن أيام الشباب الخالي  
من الهموم ، وكان افضل ما يذكره هو المشى دون توقف تحت وابل  
المطر بأحذية ممزقة لانه لم يكن لديه نقود تساعد في ركوب سيارة  
عامة أو سكة حديدية فرعية ، ولقد كان في الثلاثين من عمره على  
الأقل عندما كف عن وضع قدميه في حذاء ممزق .

كان في استطاعته اختيار أية امرأة .

لم يكن هذا صحيحا ، ولم يشأ ان يناقض جولى ، وقد كانت  
مخطئة عندما قالت له ذلك . كانت له علاقات ببعض النساء ولكنه  
لم يستطع تذكر أية واحدة منهن بصورة حية واضحة ، لقد كن  
جميعا على صلة بالمرح او بالسيرك لانه كان يعمل بالسيرك أيضا  
أحيانا ، لم يكن نجوما من نجوم المسرح أو السيرك بل كن ممثلات  
من الدرجة الثالثة أو من الكومبارس أو من الراقصات ، وكانت  
صداقتهن عادية سهلة لا تكلف شيئا أو جهدا .

ولم تكن تلك العلاقات صلة بالحب، وكان الحب يحدث أحيانا  
مصادفة . وكان يحدث الحب أحيانا لأن احدها من تكون قد طردت  
من غرفتها المفروشة ، ولم تعرف أين تقضى الليلة ، أو ربما على  
الطريق عندما لا يكون هناك مكان كاف أو اسرة بفنادق الدرجة  
الرابعة التى تستأجرها الفرقة . وأحيانا يحدث الحب فى القطار  
عندما يتكدسون كل عشرة أو اثنى عشر فى مقصورة واحدة فى  
أثناء الليل .

وكان عندئذ يحلم بأن تكون له غرفة مستقلة يعمل فيها فى اتقان  
العبه وأدواته ، واضطر الى الانتظار حتى بلغ الثامنة والثلاثين من  
عمره ، لكى تصبح له مثل هذه الغرفة ، ومن دواعى السخرية أن  
تكون منافسة السينما له هى التى جعلت حياته قاسية عليه .  
وقال له صديق لم يعد يذكر اسمه الآن :

— لماذا لاتحاول العمل مع الجمعيات الخيرية أو النوادى أو حفلات

الهناء ؟ .

وكان معنى هذا أن يعمل حرا لا يرتبط بفرقة معينة ، وعلى  
الفور استبد به الطموح فى أن تصبح له شقة خاصة ، ووجد شقة

أقى شارع التجميل بالقرب من مسرح ديجازية وسيرك الشتاء بالقرب من الحى الذى ولد فيه ، ولم يكن انطوان طوال حياته الى ان عرف بجولى قد بارح هذا الحى .

وكانت هناك غرفتان بالدور الثالث وبلا مصعد ، واشترى حبريرا ومنضدة وبعض الكراسى من أحد تجار الأثاث المستعمل فى الشارع المجاور . وفى ذات مساء كان فى مقهى فى شارع سان مارتن فقابل اليس التى كانت تعمل فى سيرك ميدرانو الذى كان يعمل هو فيه وقتئذ ، وفى ذات ليلة عاد بها الى مسكنه .

ولم يستطع الآن ان يقول كيف جاء بها معه ؟ ولم يكن فى نيته ان يبدأ معها قصة غرام جديدة ، وكانت اليس فتاة شاحبة اللون لاصابتها بفقر الدم ، وكانت عيناها الزرقاوان شفافتين وكانت ترتدى دائما سترة زرقاء ، وتقضى ساعات طويلة تحديق النظر فى الفراغ !

وعلى اية حال قد اصطحبها الى بيته لتقضى معه أمسية واحدة اقبقت وفى اليوم التالى كانت هى التى خرجت لشراء بعض الطعام ولم يكن معها متاع ، ولا تملك شيئا سوى ما عليها من ثياب ، وظلت الأسبوع أو الأسبوعين الأولين تغسل ثيابها الداخلية فى حوض غسل الأيدي وتعلقها على الحبل قبل ان تاتى الى الفراش لتنام !

واستعرض هذه الذكريات ، وعجب من أنه لم يخطر بباله قط وقتئذ ان يسألها من أين هى ؟ ولم يكن يعرف شيئا عن ذلك ، وعلى هذا النحو دخلت حياته وتذكر أكثر ماتذكر شدة بياض أديمها ، ولم يذكر أنه رآها تبسم قط . وبالرغم من وجودها لم يقع أى تغيير فى الشقة ، ولم يتم استكمال الأثاث ، فلم يأت بالكتب المشهور الذى طالما حلم به .

وعاشا معا كما لو كانا يعيشان فى فندق ، ولم يكن هناك من اقارب بين الحالين الا انهما كانا احيانا يمكثان ثلاثة ايام دون ان يسويا السرير وأنهما لاياكلان فى البيت الا اذا كانا خاليين من المال الذى يسر لهما الاكل فى المطعم ، وكانا يأويان الى قراشهما فى وقت متأخر من الليل ويقضيان اوقانا طويلة ينصتان الى اصوات السيارات فى الشارع .

واقى ذات يوم أخطر له أن يستخدم اليس مادامت تقيم معه  
تقام بإجراء تجارب التنويم المغنطيسي معها ، وأعد برنامجا يظهران  
فيه معا ، وفى هذا كانت اليس ترتدى ثوبا أبيض يضل إلى قدميها  
وكانه قميص نوم ، فكانت تبدو فيه كاللاك ! . وكانت تفرق شعرها  
فى منتصف رأسها وتحيطه بشرىظ ، فكانت بهذه الصورة قوية  
التأثير وخاصة عندما تقدم احد الحضور إليها وربط عينيها  
بمئديل .

واستغرق بعد ظهر يوم كامل فى تعليمها الرموز ، وكانت  
شديدة الخوف من أن تخطئ ، وذلك عندما يأمرها بتخطى فجوة  
واشتد الخوف عليها وأثر فى صوتها حتى أصبح كصوت الأطفال  
أو المرضى الناقمين ! .

وفى الحقيقة عجز الآن عن تذكر تفاصيل ملامحها ، وحاول  
أن يتذكر الشكل أو التعبير ، ونجح فى هذه المحاولة وحدها ، تذكرها  
وهى ممددة على الأرض والناس مجتمعون حولها ، كما رآها ذلك  
اليوم من النافذة ، وكان المطر ينهمر بغزارة ، وكانا قد استيقظا  
هيكريين للحاق بقطار روان بعد الظهر ، ولم يكن لديهما طعام يأكلانه  
ذلك اليوم . والشهر شهر أبريل ، والطقس معتدل ، فوضعت  
المظف فوق قميص نومها ووضعت قدميها العاريتين فى حذاءها  
الآن لم يكن عليها أكثر من أن تعبر الشارع إلى متجسر الحلوى فى  
الجانب المقابل للبيت .

وانحنى فوق حاجز السلم وقال لها :

— لا تنسى السجائر .

ولم يخطر ببال أحدهما أن هذه ستكون آخر عبارة تبادلانها  
وتغير ما سيجب ذهب إلى النافذة وأزاح الستارة جانبا ليرقبها  
بل لينظر إلى المطر المتساقط ، فلم تكن العلاقة بينهما عاطفية وإن  
كان قد رآها تعبر الطريق فأنما كان ذلك بمحض المصادفة ، وتبع  
إليه أوتوماتيكيا لينادىها وينبها إلى السيارة الضخمة التى رآها  
قادمة من الناحية الأخرى ، وسمع ضجيج الفرملة الشديدة ورأى  
الأساسة ثانية بثانية . ورآها رجل البوليس الذى كان واقفا على بعد  
ثلاثين قدما منها .

وانزلت السيارة الثقيلة جانبا على الاسفلت حيث تركت عجلاتها  
اثارا ظاهرة وحدثت المأساة وصاح الناس ، وفتح النافذة ورأى  
المعطف الأخضر والشعر الأشقر وذراعا منزوعة على الاسفلت الاسود  
وسط حلقة من الناس ! .

ولم يعرف أحد كيف انزل حذاؤها وطار ثلاثين قدما . وعندما  
وضعوها على الحافلة كانت قدماها عاريتين قدرتين ، ولم تجد وقتا  
لتقول له أى شيء ، هل عرفته ؟ وعندما شق طريقه نحوها كانت  
قد حضرتهما الوفاة فعلا ، وانحنى رجل البوليس للفحص وقبعته  
فى يده .

وقد قص انطوان هذه القصة على جولى فبكت لها .  
وعندما التقى انطوان بجولى فى لايوربول كانت اليس هى المرأة  
الوحيدة التى عاش معها ليلتين ولم يتحدثا قط عن الحب لأن مثل  
هذا الحديث من شأنه ان يحرجهما كليهما .

وعلى الرغم من ذلك ظللا يتشاركان فى الحياة أربع سنوات اربعا  
وعشرين ساعة يوميا دون ان يتخذا قرارا بشأن هذا الموضوع الذى  
جاء طبيعيا ، فعندما يخرج تخرج اليس معه حتى لو لم يكن لدى  
أحدهما شئ يقوله لصاحبه ، يمشيان جنبا الى جنب ، وتدخّل معه  
نادى الجلوب أو القهى الآخر بجواره ويجلسان الى المنضدة نفسها  
وهما غائبا الذهن دون ان تشترك فى حديثه مع أصدقائه .

وكان فى ذلك الوقت يلعب البلياردو كثيرا فى الطابق الثانى  
من نادى جلوب ، وأجاد لعب البلياردو ، وكانت هذه اللعبة تساعد  
على براعته فى العابه ، فكان يقضى فى اللعب وقتا طويلا الى الساعة  
الثانية صباحا .

حتى الآن فانه أحيانا يقوم بالتدريب على كرات البلياردو .  
اما منذ ان عرف جولى فانه تخلى عن لعب البلياردو تماما لا  
لأنها طلبت منه ذلك ، بل لأن هذه اللعبة لم تعد تلائم ظروف حياته  
الجديدة .

ولم يأسف لشيء . وكان يشر دهشته الى حد بالغ فى أيام مثل  
هذا اليوم . ان تمضى كل هذه الأعوام من حياته وهى خمس  
وخمسون سنة دون ان تترك فى أعقابها شيئا .

وفى الغد سيكون شعوره طيبا فلن يوجه الى نفسه اى أسئلة  
أقبل على عمله بمهارة واستمتاع ويهتم بما يجب أن يأكله من  
طعام ويتحدث مع جولى عن الطقس وعن أقوال الصحف .

اما هذا الصباح فلم يكن على حالته الطبيعية اذ كان يعاني من  
أعقاب الأزمة ، وكان غير راض عن نفسه حتى أن صحته كانت  
تقلقه ، اذ أن طعنات الألم كانت تخزه فى صدره من وقت لآخر .  
وعلى الرغم من أن الأطباء من أنه لم يكن بقلبه شىء فانه بقيت له  
شكوكه وخاصة أن جولى التى تبدو عليها الأعراض التى تبدو عليه  
كانت تشكو مرضا بقلها .

وسيطرت هذه الفكرة عليه واثرت فيه تأثيرا عجيبا . وكان  
منهمكا فى طبع النشرة الدورية فوق الصورة مائلة الى أحد الجانبين  
لتكون أكثر جاذبية واسترعاء للانتباه وسمع صوت امراته وهى  
تفعل الصحون فى المطبخ .  
ماذا يحدث لو أنها هى الأخرى ماتت ؟ .

كان السؤال سخيفا ، ولكنه شعر بالحاجة الى الطمأنينة بالذهاب  
اليها ورؤيتها .

- هل تريد شيئا ؟ .
- كلاب جئت أقول لك هالو . .
- هل هذا صحيح ؟ .
- نعم .

وكانت شديدة الشحوب وهى أكثر بدانة ، وكانت تزداد بدانة  
من وقت لآخر وقبلها فى عنقها .  
- هذا جميل منك .

ولم يوضح لها السبب المعقد الذى دعاه للقيام بهذا العمل . .  
وعندما فكر فى الموت ، ذهب ليس وحدها بدون  
قبلة وبدون كلمة عزاء ، لم ينادها قط بكلمة حبيبتي وتساءل: هل  
يخطر له ان يقبلها فى فمها ؟ .

يجب ان يكف عن الشراب اطلاقا ، وغالبا ما تسأل : كيف  
حدث هذا ؟ وكان قد تكلم مع جولى عن هذا الموضوع ثانية فى الليلة

الماضية ، والآن تبين الرد على السؤال ، والآن فقط وهو عائد الى  
المكتب ليستأنف عمله في النشرات الدورية .

وكان الامر بسيطا كالعادة دائما ، كان قد بدأ الافراط في  
الشراب احيانا منذ خمس سنوات ، وكان ذلك في الوقت الذي  
ركفت فيه حماته عن الخروج من البيت لما اصاب ساقها من السهم  
وورم .

ولقد قضت العامين الاخيرين من حياتها مهبطة الجناح تماما،  
تجلس من الصباح حتى الليل في مقعدها المجاور للنافذة . وكانت  
تبالغ في تصوير حالتها مما جعلها غير مقبولة او محتملة كما تحب  
ان تكون وانتهزت هذه الفرصة .

وفي النهاية اقترحت جولى عليه :

- يجب ان تخرج للنزهة قليلا .

ورفضت مدام ترافو البقاء وحدها في الشقة بدعوى انها قد  
تعمت في اية لحظة ، فاضطرت جولى الى قضاء مصالحها وشراء  
حاجاتها من السوق في اثناء وجود انطوان في البيت ، او كان انطوان  
يقوم هو نفسه بقضاء هذه المصالح وشراء الحاجات !.

- اخرج فانت في حاجة الى تغيير الهواء ولكن لا تتأخر

كثيرا .

ولم يكن يحب النزهة او شرب كأس في احد البارات القريبة  
بل كان يعمد فورا الى الشوارع الكبيرة وكان يقصد تلك الاجزاء  
البعيدة منها حيث تعود ان يقيم من قبل وان لم يعد بها احد ممن  
كان يعرفهم ، ومع ذلك فكان يذهب اليها دون ان يعرف ماذا  
يجلبه اليها ؟ .

ولم يكن وقتئذ يشرب من اجل الشراب ولكن لاضطراره الى

تطلب شيء والى تكرار الطلب من وقت لآخر .

وفي ذلك الوقت كانت عداوته منصبة على حماته ، وعندما

اكان يهاجم جولى كان يهاجم لانها تحاول الدفاع عن امها .

وتذكرت جولى التاريخ ، وكانت تسجل في ذاكرتها كل شيء

اقاله لها في اثناء حياتهما معا .

على كل حال فانت من اسرة ترافو وستظلمين من هذه الاسرة .

ولم يكن يحمل صفيحة اللاب ترافو الذى كان قد مات دون ان يراه او يعرفه ، وكانت صورته على رف المدفأة يبدو فيها رجلا ودعيا به شيء من الخجل والتحفظ ، قضى حياته كلها فى صيدلته حتى أصيب بأزمة قلبية قضت عليه .

وبعد ان قضيا فى حياتهما الزوجية عدة سنوات قصت جولى على أنطوان قصة العار الخفى فى أسيرة ترافو ، لم يكن الصيدلى يشرب الخمر ، ولكنه بعد أن جاوز الخمسين من عمره أدمن الاثير الذى كان فى متناول يده طوال النهار ، وكان من العسير منعه من تعاطيه .

ولهذا كانت عند موظف الصيدلية تعليمات بالألا يسمح للصيدلى بأن يغيب عن بصره . وفى آخر الأمر جاءت زوجته الى الصيدلية لتقضى فيها معظم الوقت بدعوى مساعدته ، وبدا له أنه وقف على الحيلة . . فعمد الى اخفاء الاثير فى أية زجاجة تحمل اية بطاقة ، وبهذا عرض نفسه لخطر الخطأ فى الزجاجة .

وعندما كان أنطوان يعيرها أنها من أسرة ترافو لم يكن يفكر فى الرجل بل فى السيدة العجوز .

الم يكن ممكنا أن يعيش المرء بدون اشتغال بأمثال هذه الامور ؟ اففى مساء أمس مثلا كان يسير هو وجولى فى الشانزليه وكان الرصيف مزدحما بالناس وكأنهم النمل . وكان الآلاف من الناس يتواكبون ابتداء من الأتوال حتى الكونكوردد رجالا ونساء ، شيبا وشبابا ، رجالا فى مثل سنه ، وعائلات تجر أطفالها .

وكانت دون السينما تعلن الاسماء بالانوار عند مداخلها ، وفى ثوافذ الحوانيت اثواب السهرة والاثواب المادية والأحذية والامتعة الأخرى والناس يدخلون تلك الحوانيت يجادلون ويشتررون وقتيات بصغيرات يخلعن أحذية العميلات ويبدلن غيرها بها ، وهناك نافذة حانوت عند الناصية لم يكن بها سوى اللوز المحلى بالسبكن وبجوارها نافذة أخرى بها قباقيب الانزلاق على الجليد .

فهل كان عليه أن يصدق أنه هو وجولى وخدمها وسط هذه الجموع يعيشان يومهما فى مأساة يعالجان مشاكلهما ويسألان نفسيهما أسئلة لا يجدان لها أجوبة سوى الألم ؟

انهما بيدوان لاعين الآخرين زوجين سعيدين: فجولى مستمسكة  
بلراعه وهما يمسيان . ولا بد انهما كانا يتسمان فى استمتاع . .  
ونظرا الى كل ما احتوته نوافذ الحوانيت مما لم يكن فى استطاعتهما  
ان يشترياها ! .

وحاول متابعة فكرته ، كانت لا تزال غامضة ، لقد بدا عليهما خلو  
البال ، يحييان الحياة التى يمكن المرء ان يتصورها ، وكانا زوجين  
بحقيقين متفاهمين ، ثم جلسا فى مقهى حتى حان موعد العشاء  
الفاخر فى مطعم .

وكان كل شىء حقيقيا الى حد انهما كانا بيدوان مضحكين للناس  
الم تضحك الفتاة التى كانت مع الرجل ذى الشارب وهى تنظر  
اليهما وتهمس ببضع كلمات لصاحبها .

لماذا يكونان شاذين ؟ لماذا لا يكون لدى آلاف الناس السائرين  
على رصيف الشانزليزيه مشاكل من النوع نفسه ؟ . .

هل كان انطوان هو المخطيء فى اخذه الحياة مأخذ الجد  
الشديد .

حسنا ! . . فقد ادى به هذا الى سؤال آخر ، هذا السؤال  
جوهري ، بل كان هو سبب مشاغله ، انه يقضى الايام بل الاسابيع  
دون التفكير فى شىء او على الاقل فى شىء مزعج ويمضى فى أعماله  
العادية ويقول عبارات هى دائما العبارات نفسها ، ويجد متعة فى  
المباهج الصغيرة مثل شرب فتجان قهوة فى اثناء قراءة الجريدة ،  
وهو يرتدى سترته المخملية السوداء قبل ان يدخل مكتبه حيث  
يستبدل بها معطف العمل وكأنه معطف بقال .

وكان يجد متعة عندما يصل الى احدى القاعات فيضع فى ركن  
منها حقيبتيه المفرطحتين ويأخذ فى اعداد ادواته وارتداء معطفه  
ليظهر امام جمهوره فى الناحية الأخرى من الستار .

اين هو ؟ يجب الا يضيع من يده الخيط ، وظل محتفظا به وعقد  
جبينه كما يفعل وهو يفكر فى لعبة جديدة ، ثم تنقضى الاسابيع  
فلا يوفق الى مثل هذه اللعبة ، وفى مثل هذه الأوقات تفهم جولى  
مابه فورا فتنتظر اليه برقة لا يخالطها قلق .



وتقول له : انك تجهد نفسك بالعمل ، وتحاول كثيرا أن تبلغ درجة الكمال ، أما الآخرون فانهم راضون .

وتمضى الأسابيع هكذا وقد يخطر ببالك عندئذ أن هذه الحياة عادية ، وبرهان ذلك أن هذه هي الحياة التي تكشفها للآخرين وتحدث عنها ولا تخجل منها .

وعلى حين فجأة ولأنه شم رائحة رجل يشرب البيرة أخذ فجأة في الشراب لا لأنه يرغب في الكحول ولا لأنه يحب الخمر . . . ولكن . . .

ولكن لماذا ؟ هاهو ذا لب المسألة ، وليس وحده الذي يسأل هذا السؤال ، فالرجل ذو الميدالية يبدو ثريا صحيح الجسم بحيا حياة سعيدة وزوجته من أولئك النسوة اللاتي لا يسعك أنت الا تلتفت اليهن في الشارع .

وفي الساعة الثانية أو الثالثة صباحا كان هذا الرجل على الرغم من كل ذلك يشرب الخمر وحده في اكتئاب ، وعندما التقت عيناه بعيني أنطوان شعر بالخجل ، وبعد بضع دقائق نزع الميدالية من عروة سترته .

ما معنى هذا والممثل الهزلي البدين الذي ابتدع قصة تعاقدته؟ في نيفير وهل يعلم أنه لن يصدقه أحد؟ .

ومن المستحيل أن يصدق المرء أن أنطوان والرجل ذا الشارب شاذان ، وما الرأي بشأن ترافو والأثير الذي كان يدمنه؟ .

وشرب أنطوان الكثير لأنه كان كلما شرب شعر بحافز أكبر للشراب وعندما يعود الى بيته كان يكلم جولي ، وفي الصباح التالي يتصور أنه كلمها مدة ربع ساعة أو ساعة على الأكثر ، وقد قالت جولي له . . انه ظل يتكلم أكثر من ساعتين ونصف الساعة دون أن تقاطعه! .

وقد ظل طوال الوقت مقتنعا بأنه يسرى عن نفسه فقد كان يشعر بأنه شقى وكان يشد المعونة .

وفي اليوم التالي شعر بالخجل من كل مقاله الى حد أنه لم يجد في نفسه الجرأة على النظر الى زوجته وتمنى ان يظهر الخضوع طالبا منها الغفران .

قهلّ كان « للاتصال الانساني » و « للاخ » و « لروح ترافو »  
وجود الا فى تصورات المخمور ؟ .

واذن فلماذا يشرب ؟ لانه عندما بدأ يشرب كان ما يبحث عنه  
هو ذلك الاتصال الانساني وتلك الطريقة فى النظر الى الانسانية  
وفى احساس المرء بها ذلك الانطباع انطباع الصفر والضالة  
والعجز امام القدر الهائل .

ثم يتغير كل شىء مرة اخرى بعد قضاء بضع ساعات فى الفراش  
يعانى فيها تأنيب الضمير ويصبح عاطفيا نحو جولى ونحو نفسه ونحو  
شقتيها الشديدة الحرارة ونحو حياتهما .

وعندما عرفه الرجل ذو الشارب اخيرا بعد تقليب ذاكرته وقتا  
طويلا أحمر وجهه خجلا .

اذن فقد كان هو الآخر فى حرج بشأن سلوكه فى  
الليلة السابقة .

ماذا كانت افكاره فى اثناء شرايه وهو منحنى الراس ممسك  
بحاجز البار باحدى يديه ؟ .

كانت الكلمة قوية ولكن انطوان لم يكن ممعنا فى الخطأ عندما  
زعم فى اثناء انفجاره انهما اخوان .

هل يمكن أن تكون مستعدا لتناول الفداء فى مدى عشر  
دقائق ؟ .

- متى شئت .

لم يكن جائعا . فقد اكل كثيرا فى الليلة السابقة بالمطعم . . .  
وكانت جولى لاتزال تستعرض سعادتها الجديدة فى انحاء الشقة  
وعندما نظرت الى زوجها كان فى عينيها تساؤل ، وكان واثقا من انها  
كانت تتساءل كم تدوم هذه السعادة ؟ .

ولقد اثرت فيه وفاة اليس منذ وقت طويل ولم يكن مبعث  
تأثره الحبيب أو حتى العطف ، ولكن قسوة الحادث اذهلته وكذلك  
بشاعة المنظر الذى شهدته من النافذة فهو لايمكن أن ينسى مثالا  
القدم القنطرة .

وجمع بعض الأصدقاء لحضور الجنازة بدافع الاحساس نحو  
الفتاة الميتة لانهم لم يستطيعوا العثور على أحد يمت لها بصلة

القريب ، ولكنه لم يزر قبرها قط ولن يستطيع العثور على هذا القبر ثانية .

الا يزال هناك قبر ؟ ربما نعم . واذا تذكر جيدا ما قيل له فان الجثث تحمل الى حقل الخزاف اذا لم يستطع أصحابها شراء قبر لها في غضون خمس سنوات . ولم يخطر بباله ان يشتري لها قبرا . كما لم يخطر بباله فكرة اختيار فتاة أخرى تحمل محل اليس في مزاملته في اللعبة ، وعلى كل حال فلم تكن هذه اللعبة من الألعاب التي تخصص فيها لأنها لم تكن تتطلب مهارة قط ولا خفة حركة ، بل كانت لعبة آلية .

بل انه لم يغير شقته فيها التقى بجولي ، وكان ما أثار دهشته قليلا في أول الأمر - عدم وجود أحد ما الى جواره ، فكان عندما يبرح مقهى أو مطعمًا يتلفت حوله كمن كان قد نسي شيئا .

- هل أتممت نشراتك الدورية ؟ -

- بقي أن أضعها في أغلفتها .

- هل تريد مني أن أساعدك في ذلك ؟ -

ولقد كان من عادته أن يعد الأغلفة مقدما في الأيام التي لا يجد لديه عملا آخر يقوم به . ولقد كان دقيقا غاية الدقة في كل شيء له صلة بمهنته .

- كيف حال كبدك ؟ -

وجلسا الى المائدة وكان الثلج ينهمر في الشارع وتعلق بعضهم بقبة الكنيسة الروسية .

- أنا احسن حالا .

- يجب أن تزور بورجوا .

وكان بورجوا هو طبيبهما وجارهما منذ وقت طويل وقد ظل يرمى مدام ترافو حتى ماتت ، وكان يعاملهما كما لو كانا ولديه . وكان قد بلغ الثامنة والسبعين من عمره ولم يمنعه تقدمه في السن الى هذا الحد من التنقل طوال نهاره وحقيبته في يده ومظلته في يده الأخرى وقد انحنت قامتة الى الامام حتى يخيل الى رائيه انه هلى وشك الوقوع !

ولم يكن بورجوا ليصفّ دواء قَمير الحبوب والاقراص والنقط  
وبعد كل زيارة من زياراته يمتلىء دولا ب الحمام بالعلب الصغيرة  
المملوءة بالحبوب والاقراص ويظل أنطوان وجولى أسابيع طويلة  
يعدان النقط التى يسقطانها فى كوب الماء عدة مرات يوميا .  
- اليس مريحا لك البقاء هنا فى البيت ؟ -

كان الأناث من متاجر الأناث القديم فى شارع كورسيل، وكان  
أنطوان فى أول الأمر لا يشعر بالارتياح له ، ثم تعودده ألفه ، بل لقد  
أحبه ولم يستبق أية قطعة أثاث مما كان فى مسكنه بشارع التمبرل  
منوى صورة روبرت هودينى الساحر المشهور فى اطار خشبى  
أسود .

وعلى المدفأة ، وكان بجوار صور ترافو المعجوز وأخ لجولى الذى  
قتل فى الحرب العالمية الأولى شمعدانان من النحاس ومنظر لمدينة  
لورد على كرة زجاجية .

- هل تنوى العمل طول فترة بعد الظهر ؟ •
- لماذا تريدین معرفة ذلك ؟ •
- انه لا يهم •
- قولى لى السبب •

وكان الطعام جيدا وكان يحب الرائحة المتصاعدة منه تملأ  
الشقة وكانت جولى بارعة فى صنع الفطائر ايضا براعتها فى الطهى  
وكانت تصنع كعكة كل يوم أحد . .  
- انها مجرد فكرة شاردة •  
- ما هى ؟ •  
- ان هذا يتوقف على نوع عملك . .

وكانت دائما تشعر نحوه بشيء من الخوف ، وقد حدث ذات  
مساء وكان هو فى هذه الحالة نفسها حدث أن قال لها . ان خوفها  
منه على هذه الصورة يجعلها تبدو قبيحة وكان مقتنعا بأنه يكلمها  
بترفق ، ولكنها لم تفهم ، فاعتبرت هذا القول نقدا فهل أساء التعبير  
هما يدور بخاطره ؟

- انت تعرفين انه ليس لدى هذا الأسبوع شيء هام •

- يعرضون الآن فى سينما واجرام فيلما جيدا ، ولكننا خرجنا بالأمس ، وعلى كل حال لا تظن أنى مصره على الذهاب الى السينما اليوم .

ولم يظن شيئا قط او بصراحة ظن انها لا تزال خائفة تقول لنفسها . انه فى حاجة الى الراحة وانه من الأفضل ان تسرى عنه وكان ذلك سداجة منها فقد كانت تعامله كما لو كان طفلا . . وكانت تنتظر رده فى لهفة الى حد دفعه الى التظاهر بأنه متحمس جدا لتنفيذ هذه الفكرة .

- فكرة رائعة ! هل تعرفين موعد الحفلة ؟ .

- الحفلة الاولى فى الساعة الثالثة والثانية فى منتصف السادسة .

أما الحفلة الثالثة فتأخر الى ما بعد العشاء .  
اذن فقد اطلعت على الجريدة اذ رآها مفتوحة عند صفحة الملاهى .

الم يكن لهذا الحادث تأثير على المسألة التى فكر فيها طوال الفترة الصباحية ؟ لأنها كانت مشغولة الخاطر حتى فكرت فى مشاهدة الفيلم . وفى الواقع ربما كان فى مشاهدة الفيلم اشباع لهما كليهما ، كان الفيلم كوميديا ولهذا سيضحكان كثيرا بين لحظة وأخرى .

وقد حدث ذات مرة بعد وفاة حماته أن وقع بينهما منظر مؤسف ، ولم يكن ذلك المنظر فى البيت بل كان فى الشارع ، وكان هو المنظر نفسه دائما : ظلا يمشيان ويمشيان وهما يتناقشان مشيا لا ينتهى والناس يتلفتون اليهما وهم يمرون بهما ، حتى وجدا نفسيهما عند شاطئ النهر ، وفكر انطوان فى احتمال القفز الى النهر وانهاء الجدل .

ولم تمض على ذلك ساعة حتى كان كلاهما قد هدا ودخلا احدى دور السينما دون أن يعرفا ماذا يعرض فيها وذلك لمجرد الهرب من أفكارهما ، ولم يعرف من منهما كان الذى اقترح دخول السينما ؟ .

وقبل أن تنقضى عشر دقائق عليهما فى ظلام السينما بدأ انطوان يضحك مع الضاحكين ، وبعده بقليل ضحكت جولى على الرغم من محاولتها الامتناع عن الضحك وكتب ضحكها بمندبل يدها ، فعلى أى شىء يدل هذا ؟ ربما لم يدل على شىء وعلى الرغم من ذلك كانت هناك دلالة ، أما اليوم فالحالة مختلفة عن الحالة وقت ذاك . ان جولى تخاف أن تفقده ، وكانت مشغولة الخاطر وكانت ترعاه كما ترعى رجلا عليلا ربما تحدث له نكسة فى اية لحظة .

وكانت شديدة الخوف من أن يمل الجلوس وحده معها فى الشقة ، ولهذا كانت تبحث عن تسلية .

— خذ معك الكوفية ، فقد خرجت هذا الصباح اشترى بعض الحاجات من السوق ولفح البرد وجهي .  
كانت تعنى به أشد الاعتناء ، فقد كانت تريده أن يكون سعيدا حتى تستطيع الاحتفاظ به وحتى لا يملها ! .

ولقد كانت فى الليلة الماضية غيرها اليوم .. كانت وقتئذ متهافنة .. ضحت باحترامها ، وألقت بنفسها عند قدميه ، قد عقدت فمها باكية :

— لا تذهب يا انطوان ! لا تتركنى ابدا ! .

كانت صادقة ، وكانت تعلق حياتها كلها عليه .

كانت تحبه .

وكان يحبها .

ولسكنها كانت كأمرها لا تخاف شيئا خوفها الوحدة .

وقد اعترفت بذلك فى الليلة الماضية .

— عند لا بوربول كنت انا الذى اقترحت الخطوة الاولى .

وفى تلك الفترة كانت امرأة وكان هو رجلا ولم تكن بينهما

اية مشاركة وخولهما كان رجال ونساء .

ولم يكن الامر عند انطوان حبا من اول نظرة ، صحيح انها لم تكن حسناء ، ولم تكن أمها وحدها هى التى تثبط النيات الحسنة بل كانت جولى هى الاخرى مصابة بشىء يسير فى عينيها ، ولم يعد يلاحظ ذلك منها ، وقد أثار عجبها الآن تذكره هذا ، ولا بد أن يكون قد فكر أو خطر بباله كما يخطر ببال أى واحد آخر أن بها

حولاً ، اما الآن فهي تبدو طبيعية تماما الى حد انه لم يكن يجب لها ان تكون غير ما هي عليه الآن :

وعلى أية حال فليست هذه المسألة هي الهامة هنا بل كانت الفكرة التي خطرت بباله في الوقت الذي لم تكن هناك علاقة محددة بينهما هي :

• - سيكون معي أحد ما .

لا ليرعاه بالضرورة ، فبالنسبة للرعاية كان عنده اكتفاء ذاتي ، ولم يفكر في الامر من الناحية العملية ، بل انه لم يقل لنفسه : انه لن يستمر وحيدا .

ولكن الفكرة هي ان يكون هناك من يفكر فيه ويعتمد عليه وبالاختصار من يصبح انطوان عنده الدنيا جميعا .  
وقد حدث !

• - سأطفئ موقد الغاز .

وانتظر على السلم وهو يعلم انها ستسأله « هل المفتاح معك؟ .  
وابتسم ابتسامة غامضة لا تعنى شيئا على وجه خاص بل وبما كان فيها شيء ، من سخرية ، تحسس المفتاح في جيبه .  
وبسبب الطقس لم ترتد احسن ثيابها وسبقها قبل ان تحاول تأبط ذراعه حتى بلقا الرصيف .

## الفصل الخامس

وكان جدول عملها صباح يوم الاحد هو نفسه لا يتغير حتى في ادق تفصيلاته الا في فصل الصيف حين يذهبان الى الريف .  
وقد تعودا هذه العادة شيئا فشيئا ، وفي البداية كانت تنقضي بين المرة والمرة فترة تتردد قصرا وطولا ، وكانا يبتكران اساليب للقاء هذه الفترات كما لو كانا في حاجة الى تراث تقليدي يصفانه لنفسيهما :

فيستيقظ انطوان صباح الاحد متأخرا عن موعد يقظته صباح اى يوم آخر لغير ما سبب ففي الايام الأخرى من ايام الاسبوع لا يكون هناك ما يضطره الى القيام في موعد محدد ، ويبقى في

فراشه حتى الساعة التاسعة حتى لو كان بين اليقظة والنوم على حين تسرع جولى فى ترتيب الشقة ، وكان هذا كافيا لانها كانت « تجيد تنظيف الشقة يوم السبت وكان هذا هو تعبير ام انطوان وقد سمع جولى تردده فكانت تثير اشجانته .

— وكانت جولى توقظه بأن تأتية بأول فنجان قهوة فى اللحظة التى تبدأ فيها الكنيسة الروسية قرع أجراسها تدعو المصلين لصلاة الساعة التاسعة وحالما يبرح الفراش يلقى نظرة على الشارع فيجده زاخرا بالحياة على نحو يفوق ما يكون عليه فى بقية أيام الاسبوع . . .

وكان الثلج قد تساقط ليلا ، ولأول مرة كان الثلج يغطى الرصيف كما يغطى الطريق واسطح البيوت وحالما تقترب من النافذة تحس موجة البرد آتية من الخارج . . .

وقدمت له نوعا خاصا من الفطائر لا تقدمه له فى أيام الاسبوع الأخرى لانه هو الأفضل ، ولكن لمجرد التغير وايجاد فارق بين الأيام . واخذ انطوان يقرأ صحيفته وهو جالس فى المقعد الذى كان من عادة حماته الجلوس فيه على حين أخذت جولى تسوى اسرير وتنظف الغرفة وتعد أفضل ثيابها . وأخيرا جرت الى الحمام .

فهل أخذت حماما ساخنا أم أنها أطالت الاستحمام فحسب ؟ على أية حال خرجت من الحمام متوردة الوجنتين مثل انطوان نفسه عندما كان طفلا صغيرا وتشرف امه على استحمامه أيام السبت وسط طست فى المطبخ .

وكان هناك دائما شواء تضعه فى الفرن قبل الذهاب الى الكنيسة وتتيقن انه لن يحترق عندما يحين موعد الفداء . ولم تكن تحب القيام بهذا العمل وهى مرتدية افخر ثيابها ، وكانت فى عجلة من أمرها أيضا ، ولهذا كان هذا اليوم وحده هو الذى يراها فيه تسبه عارية فى المطبخ .

ولم يذهب انطوان الى الكنيسة للصلاة ، ولم تقل له هى شيئا فقط عن ذلك ، وهكذا كانت الأمور تجرى فى عائلتها ، كانت هى وأمها تذهبان الى الكنيسة على حين كان الأب ترافو يبقى فى البيت .



والفارق الوحيد بين الحالين هو أن الصيدلى كان معاديا للكنيسة وكان عداؤه شديدا ، أما انطوان فلم يكن كذلك .

وكانت أم انطوان كاثوليكية هي الأخرى، أما أبوه فإنه لم يعرف شيئا عن آرائه لأنه لم يعرفه ولم يسمع عنه الا القليل النادر . وكان انطوان فى طفولته يذهب الى الكنيسة ، ثم كف عن الذهاب اليها لغير ما سبب ، ولكنه كان أحيانا يناجى ربه بينه وبين نفسه ، « يا الهى دع هذا الأمر يحدث أو اللهم لا اعتراض . »

وكان أحيانا يأخذ على نفسه العهود والمواثيق لله فى شكل قريب من المساومة : اذا لم اقض غدا قدمت مائة فرنك لأول متسول يقابلنى . »

وكثيرا ما يفى بهذه العهود والمواثيق أما جولى فقد كانت فخورة بانتماؤها الى ابروشيه سان فيليب دورول « وهى أشهر ابروشية فى باريس . »

وعندما اتمت استعدادها تعطرت بعطر لا تستخدمه الا ايام الاحاد والا عند ذهابهما الى المسرح .

وقالت له : « راقب الشواء ، فموقد الغاز فى حال جيدة ولا حاجة بك الى لمسها . »

وقبلته وراجعت نقودها فى الكيس ، وقبل خروجها اقلت نظرة اخرى على المطبخ .

— الى اللقاء القريب .

وأصبحت الشقة كلها له فكان لذلك انطباع عجيب عليه ، وكان أول ما اهتم به هو الذهاب الى النافذة ليطل منها، وكان يعرف مدى ما تستغرقه جولى من وقت فى هبوط السلم والسير على الرصيف حتى تصل الى الناحية وهو لن يستطيع رؤيتها حتى تصل الى ناصية شارع سان هونوريه وقد عبرت الشارع الرئيسى وكانت مراقبتها هكذا من هذه النافذة أمرا غريبا كما لو كانت امرأة مجهولة تعبر الطريق .

وفى هذا الصباح وقبل أن يستحم دخل المطبخ وفتح الدولاب وكان يعرف انه لم يعد فى البيت أى « روم » منذ تلك الأمسية فى يورج لاريه . اذ لم يعودا يشربان خمرًا مخافة ماقد يرتب على ذلك

من نتائج ، ولكن كانت هناك عادة زجاجة من نبيذ ماديرا ، وكان كل مايريده هو أن يأخذ منه جرعة صغيرة .

وكانت الزجاجة فى مكانها ، ولكن لم يكن بها سوى القليل جدا فى قاعها ، ولو أخذ منه شيئا للاحظت جولى ذلك ، وكان مقتنعا بأن هذا قد حدث بالنسبة للماديرا وبالنسبة للروم . ولم تذكره شيئا عنه ، ولكنها كانت كلما عادت من الكنيسة تدخل المطبخ ثم تنظر الى انطوان فى قلق ، هل وضعت علامات على الزجاجات . . . وقد استحجم وكان استحمامه مغابرا لاستحمامه فى أية مرة أخرى لأنه كان وحده ، ولم يجد تفسيراً لموضع الاختلاف . فهو مثلاً عندما يخرج من الحمام فى أيام الآحاد يمشى فى أنحاء الشقة عارياً تماماً بل قد يمشى وهو بهذه الحال الى النافذة ويطل منها وهو مطمئن الى انه لن يراه أحد اذ لم يكن فى مواجهة النافذة سوى جدران الكنيسة .

ولما لم يستطع أن يأخذ جرعة من الماديرا شعر بضيق ، ولكنه رفض الاعتراف بهذا لنفسه ، ولم يحقد على جولى ، فلم تكن الغلظة غلظتها ، ولا يد أنها فى هذه اللحظة تصلى من أجله على صوت الأرغن الضخم ، ولما عادت من الكنيسة كانت على غير ما كانت عليه عند ذهابها اليها . كما لو كانت قد اتخذت قرارات صالحة ، ومع ذلك ظلت محتفظة بعض الشيء بطابع حمايته .

وكان من عاداتها فى الأيام الماضية من غير شك أن تصلى من أجل أبيها على النحو نفسه ، فقد كان انطوان هو الآخر مذنباً . . . وكانت أمها تهاجمه صراحة مستندة الى قوة الفاتيكان وكبار رجال الدين وملايين المسيحيين المخلصين لأنها كانت تصف انطوان بأنه رجل لاعتقده له .

لماذا اتجه تفكيره الى هذا ؟ كان ذلك الصباح صباح يوم أحد وهو يحب صباح الأحد وكان للثلج سحره . وكان انطوان أحياناً يسمع ترانيل المرتلين فى الكنيسة الروسية ، وأحياناً لا يسمعها . . . وكان هذا يتوقف على الطقس وربما توقف على ما فى الهواء من رطوبة . . . اما اليوم فهو يستطيع سماع أصوات المرتلين . . . أنها أصوات رجال ذوى رجولة .

وارتدى ثيابا داخلية نظيفة ثم ارتدى احسن بنطلون عنده  
وسترته المخملية واخيرا دخل مكتبه حيث وضع الحقيبتين على  
الرف ليتفرغ لعمله المحبوب ، وكان عليه فى مساء ذلك اليوم ان  
يقدم عرضا فى قاعة البلدية وقد طلب اليه ان يكون برنامج تربيويا  
على ان يعقبه محاضرة بالفانوس السحرى .

وسواء كان برنامج يستغرق نصف ساعة كالحال فى هذه  
الليلة أو كان يستغرق امسية كاملة فقد كان يبذل عناية كبيرة فى  
اعداد قائمة ألعابه وترتيبها على نحو تصاعدى حتى تبلغ الذروة .

وقد اجتمعت الآراء على ان انطوان فى حفله هذا لا يبارى .  
وكانت غرفة العمل عند حائكة الثياب خالية ولا أضواء بها . وتذكر  
جملة صغيرة كانت جولى قد قالتها فى الليلة الماضية اذ كانت قد  
سألته وهما على مائدة العشاء :

— هل سيكون دخول الحفل بأجر ؟ .

وأفترض أن يكون الدخول بأجر وربما كان الأجر رخيصا كما  
هى العادة فى مثل هذه الأحوال .

— هل يستطيع أى واحد الذهاب اليه ؟ .

وربما لم يرد عليها ، لم يفكر فى ذلك وقتئذ وشعر انها لا تزال  
متلهفة على الجواب ! ربما لأنه لم يكن قد استعاد توازنه بعد ، ومنذ  
تلك الامسية قد يحدث له على غير انتظار أن تخطر له فكرة عارضة  
أو ذكرى عابرة أو رائجة فيندفع الى الشراب على الرغم من ارادته  
والى التأملات التى لا حد لها .

وقد قالت له مثلا منذ وقت طويل جدا بجدية غير عادية :

— أرجو منك فضلا واحدا يا انطوان هو ألا تكذب على حتى لو  
كان فى الصدق ما يؤلمنى أو يحطم قلبى فانى أفضل معرفا  
الحقيقة .

لماذا ظفا هذا الخاطر على السطح ؟ لأنها كانت قد قالت له وهما  
معا على الفراش بعد وقوع الأزمة . فهل هما لا يزالان على الفراش ؟  
لا أهمية لذلك . وعلى أية حال لقد زالت حالة التوتر .

— هل تتصور أنك كنت الذى أقدم على الخطوة الأولى ؟ .

وان لم تكن هذه العبارة هي نص العبارة التي قالتها فانها بالمعنى  
ففسه ، وبعد ذلك سألت السؤال الذي يشغل ذهنها .  
- لماذا احببتنى ؟ .

ولم يكن مستطيعا أن يقول لها الحقيقة في رده على هذا  
السؤال ، وكان أبعد ما وصل اليه من صدق هو عندما ذكر لها  
وقتئذ من أنه وحيد في الحياة .

وكان هذا صحيحا ، ولكنه لم يشعر بأى عناء منه ، اذ تعوده  
وقتا طويلا منذ ان ماتت أمه ، وكان هو وقتئذ في السابعة عشرة من  
عمره ولا يستطيع أحد أن يقول : انه لم يشعر بالوحدة وهو مع  
اليس .

وكانت جولى تحب دفعه الى الكلام عن أمه وعن طفولته ، ولم  
يكن واثقا من أن هذا بسبب دوافع خالصة . وبالرغم من كل شيء  
ففى من أسرة ترافو ، وقد نشأت فى بيئة متوسطة واستطاعت  
أسرتها أن ترتقى اجتماعيا ، ويظهر أثر هذا فى سلوكها فى الحياة  
وفى معاملتها الباعة .

اماهو فقد بدأ حياته من اول السلم فى طبقة عاملة قليلة الدخل  
واذا لم يكن أحد قد حدثه عن أبيه فربما كان هناك سبب وجيه  
لاغفالهم ذكر أبيه : أترى جولى كانت تستمتع وهى تدفعه الى  
التحدث عن طفولته بأن أمه كانت تعمل فى مغسل وأن هذه الام  
قد الحقته بالعمل صبيا عند مجلد كتب نهارا على حين كان يدرس  
فى مدرسة مسائية وهو فى سن الرابعة عشرة من عمره ؟ .

ولماذا تجلبد الكتب ؟ لأن مجلد الكتب كان وراء البيت الذى  
يقيمان فيه ، وربما كان ذلك لأنه يتعلق بصناعة الكتب وكانت أمه  
تحب الكتب وان لم تعرف القراءة ، وظل يعمل هناك أربع سنوات  
ولم يأسف قط على ضياع هذه الأعوام الأربعة فى تلك الصناعة لأنها  
تمت براعته اليدوية واحساسه بالدقة .

وكانت أمه تشتري اللحم الرخيص لطعامهما ، تلك الأجزاء من  
اللحم التى لم تكن تباع الا طعاما للقطة ! .  
وكان مقتنعا بأن جولى كانت تجد متعة فى شعور الحزن له .  
وكان يفضيه أن يسمعها تتحدث عن البيوت الثلاثة التى تملكها

أسرتها ، ومن بين هذه البيوت السكنية ذلك البيت الذى فيه  
الصيدلية التى أصبحت فيما بعد مخزنا للخمور ، ثم هناك بيتان  
آخران فى آخر شارع السيدات .

فهل سيُعترف بأن هذه البيوت كان لها تأثيرها فى اتخاذ قرار  
الزواج من جولى ؟ ولا بد أن يكون هذا الخاطر قد خطر ببال  
الكثيرين .

ولم تخف حماته اقتناعها بهذا ، ولم تكن ترى فيه أكثر من حاو  
أو مضحك اجتذبه أموال ترافو .

ولم يكن هذا صحيحا بصراحة . ولم تكن هذه هى المرة الأولى  
التى يفكر فيها فى هذا الأمر الذى كان يعتبره هاما كل الأهمية  
وخاصة لأنه كان يشك فى احتمال أن تكون لدى جولى الفكرة التى  
كانت لدى أمها .

ولم تكن البيوت الثلاثة تدر كثيرا من الأيراد وهذا امر لم يخطن  
بباله وقتئذ ، ولما كانت البيوت تتطلب كثيرا من الإصلاحات وتكلفه  
كثيرا من الضرائب فانه كان يحدث أحيانا الأبقى شىء من إيراداتك  
البيوت لجولى .

ولم تكن للمال الأهمية الأولى ولا كان الحب من أول نظرة ،  
وكانت ذاكرته بصدد هذا كله واضحة دقيقة غاية الدقة ، كان فصل  
الصيف متألقا ذا رداء لم يشهد أحد له من قبل ولا من بعد مثيلا وكان  
اتطوان فى ذلك الصيف يعمل فى كازينوهات باريس كما كان يدعى  
لأحياء حفلات فى الريف .

وتعاقدنى لابوربول على أحياء اسبوع فى فندق قريب من محطة  
السكة الحديدية وكان الفندق متواضعا بعيدا عن الفنادق الراقية ،  
وفى هذا الفندق كانوا يقدمون له الطعام والشراب والمأوى مقابل  
قيامه بعرض العابه على النزلاء مجانا ! .

وفى خلال ذلك الأسبوع لم يلاحظ جولى وهى الأخرى لم  
تلاحظه طبعاً ، وفى الليلة التى قدم فيها آخر عرض لأعباه انتهى من  
إداء برنامجه ونزل الى غرفة المائدة وهو بزي العمل ، ولم يكن هناك  
ضوء النسوة وبعض الأطفال ، وكانت بعض النسوة من أوساط  
العمر والأغلبية من الطاعنات فى السن .

وان كان قد لاحظ وجود جولى مع أمها فى الصّف الأول فقد كان سبب هذا أن عينيها لم تبرحاه فى اثناء ادائه العابه طوال الأسمية وكان فى العيين اعجاب شديد يشعر المرء بالارتباك .

وكان فى وجه جولى نظرة كما كانت بارزة خصوصا فى جلستها على المقعد ، وطلب منها أن تمسك الحلقات له فاهتزت انفعالا .  
وفى كل جمهور من الجماهير التى يعرض انطوان فيها العابه شخص ما مثل جولى ولم يكن من قبل جولى يعبر مثل هؤلاء الاشخاص اهتماما . ولم يكن بينهما غير تلك النظرات المتبادلة واتصال الأيدى عند امسك تلك الحلقات وكان من المحتمل أن يسافر الى مونت دورى تنفيذًا لتعاقدته هناك لولا أن تأجل سفره الى تلك المدينة وذلك لان المغنية التى كانت تغنى هناك قد مد تعاقدها اسبوعا بسبب شدة اقبال الجمهور على غنائها .

ويبقى فى لا بوربول ذلك الأسبوع لأن اصحاب الفندق كانوا يعنون به ولم يكن بقاءه بسبب جولى كما قد يخطر ببالها ، بل لقد اقتنعت به فيما بعد ، ولم يكن يعتبرها وقتئذ أكثر من فتاة ميجنونة بل قضى اليومين الأولين من الأسبوع الثانى يتحاشى لقاءها .

وفى مثل هذا الفندق لا يستطيع الناس تحاشى بعضهم البعض :  
لآخر طويلا ، وحتى فى المدينة حيث يسير الناس على مهل للتنزه فى شوارعها لابد أن يلتقى الناس .

واخيرا كان صاحب الفندق هو الذى قدم كلا منهما للآخر ،  
وقال صاحب الفندق :

— هل تصنع جيلا معى وتقبل دعوة جولى وأمها لشراب الشائى معهما ، ولن يلزمك هذا شيئا أبدا يا صديقى فهما عميلتان لى تأتيان كل عام لعلاج حلق الأم ؟ .  
— هل كانت الصغيرة هى التى طلبت هذه الدعوة ؟ .

— لقد جاءتنى وحمرة الخجل تغطى وجهها وقالت : انها تريد أن توجه اليك بعض الأسئلة بشأن العابك . ويبدو انها ميجنونة بالعبابى  
النسحر .

وكانت قد اشترت كتاب «العاب السحر» من المكتبة وعندما  
يجلس ثلاثهم لشرب الشاي تبين أنها قرأت الكتاب كله من الغلاف  
الى الغلاف .

وجلست مدام ترافو فى مقعدها متجمدة ولم تسأل أكثر من  
سؤالها :

– هل يلعب فى السيرك أيضا ؟ . ولما اجاب بالايجاب اصرت على  
تسميته بالمضحك .

وقابل جولى بعد ذلك مرتين بقرب الينايع الحارة وتمشيا  
معا .

– اذن فانت تقيمين فى باريس ، متى تعودان الى هناك ؟ .

وتجهمت واعتراها خجل بنات المدارس ونظرت الى باقة  
معطفها حيث كانت هناك شعرة من شعرها فرفعتها ولم تلقها ارضا  
ولابد انها احتفظت بها طوال الطريق ثم وضعتها فى كتاب او فى  
ظرف ..

ووجدتها عجيبة وبها بعض الفرور لأنها حدثته عن الصيدلية  
والبيوت الثلاثة والشقة التى تسكنها عائلتها فى شارع دارو بحى  
الأنوال .

– هل تعد بزيارتنا ؟ وليس هناك ما ادعى للآثاره من مهنتك  
واحب أن تزيدنى حديثا عنها ! .

وكان هذا القول مؤثرا ، وعندما سافر أوصلته حتى المحطة  
وأمسكت يده بيدها المبتلة عرقا وقتا طويلا بعد أن منحتة هدية  
هى سكين لقطع الورق وسلة للفاكهة ، ولم يكن من عادته اكل  
الفاكهة ، ولكنه لا يزال يحتفظ على مكتبه بسكين قطع الورق ،  
وتعلق جولى عليها أهمية كبيرة وانها لتكتئب ان راته يكف عن  
استخدامها فى فتح رسائله ! .

وطوال رحلته بعد ذلك ظل يرسل لها بطاقات البريد من كل  
مكان يحل فيه كما طلبت منه ذلك ، وكان يأسف لها .

وكذلك أسف لها عندما استقر به المقام فى باريس ووجد أن  
دعوة رسمية قد وصلته تدعوه فيها لرؤيتها فقرر أن يذهب اليها .

ان الشقة فى شارع دارو لم تتغير الآن عما كانت عليه حين كان يزورها فيها الا فى ان غرفة مكتبه الحالية كانت غرفة حمامه . وكانت جولى تحبه حقا الى درجة بلغت فيها حد السقم والحماقة المطلقة . فكانت تصر على ان تعرف اين يقوم بعمله وتواريخ حفلاته ؟ .

وكانت تحضر تلك الحفلات مع امها التى لم تكن تسمح لابنتها بالخروج وحدها . وفى ذات يوم ذهب الى موعد لها فى مسكن الاسرة ولم يجدها فقالت له امها :

- ان الفتاة خارج البيت ولا جدوى فى البحث وان من الافضل له ان يجلس معها ويتحدث اليها .

ولا يزال انطوان يذكر حدة صوتها وتقطع عباراتها . وكان قد اتم الرابعة والاربعين من عمره ، ومع ذلك اضطر الى البقاء والاستماع الى حديث الام وهو حديث مذل مهين ، وتصور ان جولى كانت فى مكان ما بالشارع نفسه وكانت تعلم ما يحدث فى الشقة .

ولم تطلب اليه امها ان يخلع معطفه او قبعته برغم حرارة الشقة ، وشعر بالاسف لجولى التى لا بد ان تكون لى الرصيف المقابل ترقب الشقة فى انتظار قراره .

ولم يكن هو الذى اختار اليس ولم يكن شقيا معها ، ولم تحبه اليس كما تحبه جولى ، وكان حضور اليس اليه لانها لم تجد مكانا آخر تذهب اليه .

ولم يكن من غير المقبول عنده ان تحبه جولى الى هذا الحد الذى اضطرت فيه الام الى الاستسلام لمشيئتها كما انه لم يكن من غير المقبول عنده ان يجد نفسه فى شقة حقيقية ومؤثثة فعلا يجدها فيها وجبات طعامه جاهزة عند عودته من عمله ، وكانت البيوت الثلاثة ضمنا للحياة ، وكان ما يدخره من مال قليلا ولا يزيد رأس ماله على عدته وأدواته وماذا لو انه مردى ؟ .



وقالت له أم جولى : انها تنتظر منه أن يلفها بثيابه عندما يستقر على شىء منها ، وأعربت عن أسفها لأنه لم يبلغ به الذوق السليم حد التحدث فى هذا الشأن من تلقاء ذاته ، كما يقضى بذلك حسن السلوك .

وظلت حماته حتى وفاتها ، وهذا أسلوبها فى الحديث معه ولا بد انها كانت تفكر فى مثل هذه العبارات فى أثناء فراغها .  
وقال : نعم .

وتم الزواج فى الشهر التالى فى كنيسة سان فيليب دو رول وانقضت ستة أشهر أو ربما سنة حتى استطاع أن يحب جولى ! وكانت مدام ترافو قد اشترطت أن تقيم مع ابنتها بعد زواجها اذ كانت تخاف الوحدة خوفا شديدا .

وثارت اولى المنازعات بين انطوان وحماته بشأن الفوارق الطبقيه بينهما . . فكانت تقول مثلا : ان امثالنا من الناس . . ! وان هذه الطبقة من الناس لاينتظر منها غير ذلك !

وحاول أن يقنعها ببعض الحقائق التى بدت بسيطة وانتهى به الأمر الى تبين أن جولى تعتنق آراء أمها نفسها فى مثل هذه المسائل ولم يكن الذنب فى هذا ذنبها هى ولا ذنب مدام ترافو . :  
واتضح له من معاشرته لهما أنهما مسكينتان فى حاجة الى شىء ما يستمسكان به ، شأنهما فى ذلك شأن سواهما ولم يكن لهما من خيار ، وقد فات أو ان إمكان التغيير حرصا على الخجل .

وكانت جولى تريد زوجا لا أى زوج بل تريده هو . وقد بذلت قصارى جهدها فى الحصول عليه بفض النظر عن أى اعتبار آخر . . واصبح لها .

تلك كانت فكرته الاولى وقت أن لم يكن قد عرفها جيدا فلما عرفها تبين أنها هى التى اصبحت له بدلالة شدة خوفها عليه من أن تفقده .

وكان هذا يحدث عندما يشرب الخمر فلا تستطيع الوصول اليه ويستبد بها الذعر ، وبدلا من أن تقول ما يجب عليها قوله فى مثل هذه الظروف تتجمد وتصمت وتصبح باردة كالثلج .

واساء فهم موقفها فى اول الامر وظنه كبرياء ثم اتضح له  
انه الخوف ، وبسبب هذا الخوف احبها .

افلّم يكن هو الآخر خائفا من أن يعود وحيدا كما كان قبلها ؟  
وحتى عندما يشرب الخمر لم يكن يقصد بذلك أن يتخلص من  
سيطرته عليه ولم يكن يحلم باستعادة حريته ، بل كان الذى  
يقضيه هو انها لم تبذل الجهد الواجب بذله من جانبها لكى  
تفهمه .

وبدا له انه كان يضرب الجدار براسه .  
وظلت الدائرة مفرغة ، ولو لم تتعلق به هذا التعلق الشديد  
العنيف ما احبها .

ولا يمكنها أن تتغير ، ولم تكن بها حاجة الى التغير ، وعندما  
يثوب الى رشده كشأنه فى هذا الصباح كان يعترف بهذه الحقيقة  
الم يحاول منذ ساعة البحث عن قطرة خمر ؟ فلما لم يجدها شعر  
بعدم الرضا ذلك الشعور الذى قد يلزمه طوال يومه .

واستهان بما قد يخطر ببالها وذهب الى دولاب المطبخ ونسى  
أن ينظر الى الشواء وهو على النار ، ثم تذكره وفتح الفرن ولم  
يكن اللحم قد احترق بل كان قد بلغ حد النضج الكامل ، وعاتب  
نفسه على محاولاته تلك بأن اكره نفسه على تذوق اللحم الساخن  
الى حد الالتهاب وقطرات الدهن تتساقط على يديه محرقة .

وخرج من المطبخ عندما سمع وقع خطواتها على السلم وعاد  
مسرعا الى مكتبه وأمسك بأول قطعة من عمله وتساءل : هل يجب  
أن يشعر بالضيق منها أو من نفسه ؟ واذا لم يكن قد أحدث أى  
ضرر فلماذا يشعر بالخجل ؟ .

واطمأن عندما سمع صوت المفتاح يدور فى قفل الباب وصوت  
بجولى :

— هل انت هنا ؟ .

انها كلمات يقولها المرء دون احساس بمعناها ، أين يمكن  
أذن أن يكون ؟ وكان وجهها قد تجمد من البرد ، وبدا له أنها فى  
كل مرة تعود فيها من الصلاة تحمل معها نوعا من شذا العطر .

— هل لاحظت الشواء ؟ .

— نعم .

— لم يكن يجب ان اشفلك بمثل هذا الامر على حين انك  
تعمل .

انها هى الاخرى مجرد كلمات دون احساس بمعناها . ماذا  
فى الامر ان يطلع على اللحم بين لحظة واخرى وهو فى البيت ؟  
فلماذا الاعتذار الذى لا معنى له ؟ .

— سأبدل ثيابى ، اظننا لن نخرج اليوم حتى الليل .

— ليس فى نيتى الخروج .

— ولا انا .

وكان يعرف عنها انها لاتبقى بثياب الخروج فى اناء وجودها  
فى الشقة ويعرف انه من المفروض ان يخرج هو فى المساء لعمله  
وانها هى لن تخرج الا ان حدث ان تطلب عمله الثياب عن البيت  
بضعة ايام كما حدث فى الهافر . وحتى فى هذه الحالة كان الامر  
يتوقف على الظروف . اما فى الهافر فقد كان مريضا وتطلب الامر  
منها ان تعنى به وقد كانت التجربة سيئة .

وشعر بالضيق من حديثها هذا فانه سيعمل فى مكتبه حتى  
موعد الغداء ثم يقضى فترة بعد الظهر فى قراءة كتاب كان قد اشتراه  
فى الليلة السابقة وستقضى هى وقتها فى اصلاح اثياب .

وكان هناك تناقض آخر فى شخصيته ولكن هل هو وحده الذى  
فيه مثل هذا التناقض ؟ كان من الناحية النظرية يحب ايام الاحاد  
وفى اغلب الايام يبدأ يوم الاحد راضيا ثم ينتهى وهو يشعر بفراغ .  
فالدنيا كلها تبدو ساكنة يوم الاحد الى حد انه خيل اليه انه يسمع  
صوت الماء فى انابيبه بل دقائق قلبه ، وهو جالس فى مقعده يقرأ  
وجولى امامه .

ولكى يخرج من هذا الشعور بالفراغ قال لها فجأة دون ان ينظر  
اليها :

— هل تعرفين انى احبك ؟ .

– وأنا أيضا احبك . فيم تفكر الآن ؟ انا لا اشكو شيئا ولكنى  
احب ان اعرف كيف خطر لك هذا الخاطر .  
– لا اعرف . كنت افكر فينا .  
– هل ترى أنك سعيد؟ .  
– أنا واثق من هذا .

لابد انه سعيد اذ ليس هناك اى مبرر ليكون غير سعيد والاكان  
العالم مليئا بالتعسين وهو امر عسير الفهم عليه .  
« انى اريد لك ان تكون اسعد الرجال كما انا اسعد النساء »

ورأى انها كانت تكذب فى هذا القول . فكيف تكون سعيدة على  
حين أنهم يتعذبون فى داخل نفوسهم كما يحدث له .  
وقالت جولى دون أن ترفع عينها عن عملها :  
– لا ادرى ماذا كان يصيح عليه مصيرنا لو لم أقابلك ؟ .  
– كنت ستقابلين رجلا آخر .  
– أنا واثقة من أن هذا ماكان ليحدث ! .  
وكان هو الآخر واثقا من هذا .

وقال لها :

اريد أن أقول لك شيئا يا جولى فهل أنت منصتة ؟ .

– نعم .

– انظرى الى .

وذلك حتى ترى هى أنه جاد فى قوله .

– طلبت منى ذلك اليوم الا اتركك ، وقد وعدتك بهذا لان الوعد  
سهل . ولكن الامر بتطلب منك أن تبدلى قصارى جهدك مهما كانت  
الظروف فى أن توقفينى عن الشراب ! .  
– كيف تنتظر منى أن أوقفك اذا كنت أنت تريد الشراب ؟ .

– أنت تعرفين جيدا انى لا اريد الشراب ومن الصعب أن اوضح  
لك هذا الامر ، والمهم عندى هو الا ابدأ ثانية .  
– لقد حاولت ذات مرة .

ولم يكن يجب أن ترد عليه على هذا النحو فتذكره بتلك الليلة  
إهى الهافر .

- لا بأس . افعلى ماقلته لك ، اوقفينى عن الشراب .
- هل انت واثق من انك لم تملنى ؟ .
- متيقن .
- هل تقسم ؟ .
- ولم يكن له اى حق فى التردد فقال :
- اقسام .
- وتحركت فى مكانها فقال لها :
- لاتحركى ، فمن الافضل ان نتكلم بهدوء وكلانا فى مكانه . .
- استمرى فى عملك ، ولا تنظرى الى .
- لقد كنت انت الذى . .
- نعم طلبت منك ان تنظرى الى ولكن هذا لم يعد ضروريا .
- وانت ترين انى هادىء الان . . لم يعد جسدى يحتمل الخمر
- والخمر لاتسبب لى الكآبة فحسب ، بل هى تسبب لى ضيق الخلق
- فهل تظنين هذه طبيعتى ؟ .
- كلا .
- اذن فلا تظنى انى اتعمد اهانتك . هذا هو كل مافى الامر .
- هل تحبين الذهاب معى الليلة الى بوبينى ؟ .
- كيف عرفت ؟ .
- عرفت وكفى .
- الا تمناع فى هذا ؟ .
- بشرط ألا تجلسى فى الصف الامامى فانى اشعر بالارتباك اذا
- احس انك تراقبيننى حيث يخطر لى ان جميع من يشاهدوننى
- يفهمون سر العابى كما تفهمينه ، وانى اثير فهم روح الملل وانه يجب
- على ان أنتهى من عملى بسرعة حتى يذهبوا الى بيوتهم .
- ساجلس فى آخر صف ، انى لم اجروء على ان اطلب منك
- ذلك .
- اما كنت تنوين طلبه ؟ .
- ربما فى آخر لحظة .

وكان لديه برهان ذلك اذ ظهرت من تحت طرف ثوبها دانثلا  
الملابس الداخلية التى ترتديها عادة تحت ثياب الخروج فلو لم تكن  
ترجو الخروج معه لاستبدلت بها قميرها .  
وقالت :

- الا تسمح لى بان اقبلك ؟ .  
ولم يكن فى استطاعته ان يرفض مثل هذا الطلب ، ولكنه شعر  
بالارتباك ، وكان الليل مقبلا بهدوء وخفض عينيه فوق كتابه ، وعادت  
جولى الى مقعدها وفتحت فيها ولم تقل الكلمات التى كانت تتلاعب  
فوق شفيتها وأخيرا تمتت قائلة :

- معذرة ، سأدعك تستمر فى قراءتك .  
وبعد قليل قالت له :

- انا سعيدة لانك كنت اول من فكر فى ذلك .  
- فى ماذا ؟ .

- فى اصطحابى معك ، لان هذه هى المرة الاولى منذ وقت  
طويل جدا . هل تذكر كيف انى قبل زواجنا لم يكن ليفوتنى حفل  
واحد وكان ذلك يشير ماما ، مسكينة ماما ! .

## الجزء الثانى

### الفصل الأول

لأبد ان الساعة الآن الثانية او الثالثة صباحا ، فهنا فى هذا  
المقهى بحى مونتمارتر ينتهى طوافه فى هذه الساعة .

وجاءت بانمة الازهار ذات الاصابع المتورمة من البرد وطلبت  
منه فى رجاء ان يأمر لها بكأس من الخمر وكانت هذه المرأة وحدها  
هى التى تحظى بعطف انطوان ورقته كما انها لم تكن تحترم سواه  
وأشار انطوان للبارمان فأعد الكأس للمرأة .

واخذ انطوان يتلفت حواليه وهو يرجو ان يرى ذلك الرجل ذا  
الميدالية والشارب لعله يراه فى هذا المكان الذى رآه فيه منذ سنة  
وكانت الحقيبتان فى مكانهما عند قدميه .

ولكن لم يظهر سوى ذلك الممثل الهزلى وهو يدخل المقهى على حذر يتلفت حوله فاذا لم ير أحدا يعرفه غادر المقهى على الفور لأنه لم يكن يملك ثمن الشراب . ومضى الى مقهى آخر قد يجد فيه من يدفع عنه ثمن الشراب ! .

فهل عرف انطوان ؟ وعلى كل حال فانه ابتسم له ابتسامته الأوتوماتيكية كما لو كان يمثل على المسرح ، وجاء نحوه ولمس كتفه بيده كما فعل تماما فى اللقاء الأول بينهما .

– انى سعيد جدا برويتك بالتأكيد يا صاحبي ، فانك لا تستطيع أن تتصور ماذا حدث لى . فان الأمر غريب لدرجة أنه يبدو مضحكا تصور انى فى هذه اللحظة كان يجب ان أكون فى القطار فى طريقى الى . . . .

وحقق النظر فى انطوان وخبا بريق عينيه ياسا ثم لمعت عيناه من جديد ، ولكنه لمعان الشمعة قبيل انطفائها ، وذبلت ابتسامته واستبد به القلق وزاد انحناء على كتف صاحبه وقرر أن يضحك

– لقد جازت عليك هذه اللعبة من قبل . أليس كذلك ؟ ولكنها نكتة لطيفة . لا تستطيع أن تنكر ذلك ، وعندما جئت نحوك هذه المرة قلت لنفسى : . انى اعرف هذا الفتى . . هل يمكن أن تذكر لى اسمك مرة أخرى ؟ .

وتتم انطوان فى اسف « اسمى انطوان » .

– أرايت ؟ لقد كنت اعرفه ولو نظرت الى الحقيبتين لعرفت أين التقينا من قبل ؟ . متى كان آخر لقاء لنا ؟ .  
– فى نيفير .

– هذا صحيح ؟ هل جازت عليك هذه اللعبة من قبل ؟ .  
– نعم .

– الا تشتري لى كأسا على كل حال ؟ .

– بلى ! .

– ماذا تشرب ؟ .

– روم .

– حسنا اطلب لى انا الآخر كأسا من الروم .

وطلب له الكأس .

واخذاً يتحدثان .

وأخيراً قال راجوبير بعد أن شرب كأسه .

— هل تسير أمورك على ما يرام .

ولم يرد انطوان على هذا السؤال .

ثم سأل راجوبير :

— ألا تزال لك زوجة ؟ .

— بلى .

— وأولاد .

— نعم .

— لا أدري ما رأيك في ، ولكن إن كان لك قلب طلبت لي كأساً

أخرى .

ونادى انطوان الخادم وظهر الرضا على وجه راجوبير .

وجيء بالكأس أمامه فقال : .

— أما أنا فلا زوجة ولا ولد ولا أئاث بل لا بيت آوى اليه . لقد

تركنتى وأخذت كل شيء معها . ايه ! لا بد أن أحدا ما قد غرر بها

وأخذها منى ! . وفي ذات يوم عدت الى البيت وقرعت الباب ولم

يود أحد وعادت القرع بعنف حتى انزعج الجيران وخرجوا يقولون

لى : انه ليس فى المسكن أحد ولا أئاث .

واستمر الحديث يتخلله الشراب وقال راجوبير : انه لن يطلب

منه تقوداً هذه المرة ، ودارت الرؤوس ، وعندما أفاق انطوان بعض

الشيء نظر عند قدميه فوجد إحدى الحقيبتين قد سرقت ونظر

بجواره فوجد راجوبير قد ذهب ولم يحزن بل ضحك ضحكة

باردة .

وطلب كأساً ، ولكن خادم المقهى نصحه بالذهاب لينام .

وجاء له خادم المقهى بتاكسى .

وسأله السائق :

— الى أين ؟ .

— اعترف الكنيسة الروسية فى شارع دارو ؟ الى هناك .



وأحس وهو ينطق اسم الكنيسة الروسية انه يقول نكتة فضحك  
قائمة وهو داخل التاكسى . هل سيأخذه السائق الى قس روسى ؟  
وبدا له ان كل واحد وكل شئ يريد ان يقتله فالبرد قاتل وأصابعه  
فقدت احساسها فهل يصعد السلم على اربع ؟ .

وعجز عن ان يدير المفتاح فى القفل . هل غيرت جولى القفل  
لتمنعه من دخول مسكنه ؟ ربما تصورت ان البيت بيتها لا بيتها  
فقد كانت تقيم فى هذه الشقة مع امها من قبل وهى ترى ان  
الشقة شقة ترافو ! .

وانحنى ورفع قبعته باحتفال مهيب لجميع افراد اسرة ترافو  
الأموات منهم والاحياء ! وربما ذهبت هى الأخرى وهربت مثلما  
فعلت زوجة داجوبير وأخذت الأثاث معها ! .

وانفتح الباب ببطء بدون مفتاح ، لأن المفتاح كان بيده وكان على  
وشك أن ينفجر ضاحكا لأن هذا كان أشد عجبا له .  
- صه ... حاول الا تثير ضوضاء ..

ورفع حاجبيه وحاول أن يفهم ونظر الى السلم ليرى انه لم  
ينطىء الشقة . وكانت التى وقفت بالباب الشبيهة بالمفتوح غريبة  
عليه وقالت له بلهجة خالية من الود أو التهذيب :  
- اذا كنت زوجها فادخل ودعها لشأنها ..  
- ماذا حدث ؟ .

- المسكينة مريضة والطبيب يحرم عليك دخول غرفتها .  
- الدكتور بوجوا ؟ .  
- لا ترفع صوتك هكذا ، نعم الدكتور بوجوا وقد استدعاني  
- ماذا حدث لها ؟ .

- ربما لا تسبب لها كثيرا من المشاغل . اعطنى حقيبتك حتى  
لا تثير ضوضاء فى الشقة .

وقد ذهل لهذا الموقف ، ولم تتح له المرأة العجوز فرصة  
للاحتجاج ولمح من خلال باب غرفة النوم وكان مفتوحا قليلا - لمح  
وجه جولى وشعرها على الوسادة ، وبدت له نائمة ولم يستطع تبين  
ملامحها جيدا لأن المصابيح كلها كانت مطفأة ماعدا مصباح الليل

الضئيل؟ وكانت هناك رائحة غريبة في كل مكان بالشقة ، لاشك  
أنها رائحة الدواء .

- تعال من هنا . ولا تزحف بقدميك .
- ودفعته الى مكتبه وهناك اريكة تمود ان ينفو فوقها احيانا .
- اجلس . واخلع حذاءك ، ولكنك لا تستطيع ذلك وانت بهذا  
الحالة سأخلعه لك بنفسى .
- ولما فكت ربطة عنقه احتج عليها ثم سألها بعد لحظة :
- هل ماتت ؟ ردى على . اقسى لى انها لم تمت .
- كلا لم تمت .
- هل هي على وشك الموت ؟ .
- اذا تركتها وشأنها فانها لن تموت ، والآن نم ولا تتكلم ابدا .
- وأرقدته وهو بشيابه وغطته بملاءة وأطفأت الأنوار واغلقت الباب  
وراءها .

وبكى فى الظلام ونام وضايقه الكابوس ، ومضى كأنما هو فى  
انفاق تحت الأرض ، انفاق مظلمة لا تنتهى وهى واسعة مملوءة  
بالحيوانات المفترسة ، وسمع من ورائه داجوبير وهو يهمس له  
ولكنه لم يكن يقول شيئا وان كان قد قال شيئا فان انطوان لم  
يفهمه لابد ان داجوبير لم يقل شيئا ولكن لماذا لا يقول شيئا ؟ .

واستيقظ صاحب اللون شحوبا شديدا ، وحملق فى يديه  
وكانتا ترتعدان . وسمع عدة أصوات فى الشقة بينها صوت رجل .  
كانوا يتكلمون بهدوء وبصوت منخفض وربما كان ذلك لكيلا يسمع  
هو ما يقال ! ثم فتح الباب وذهب الى غرفة النوم ودفع بابها الذى  
كان مفتوحا قليلا ودخل فرأى الدكتور بورجوا جالسا عند رأس  
الفرش بجوار جولى ، وتظاهر الطبيب بعدم ملاحظة وجود انطوان .  
وبدت عينا جولى أكثر اتساعا ونطقت ملامحها معبرة تعبيرا لا عهد  
له به . انه تعبير الراحة والخوف معا ، ثم هدأت فجأة وابتسمت  
الى ضعف وقالت فى همهمة :

- هل عدت ؟ .

ووجهت حديثها للطبيب والمرأة العجوز قائلة :

— هل رأيتما ؟ لقد عاد .

لماذا كانت تتكلم بصوت كأنه آت من مكان سحيق ؟ .

— الآن وقد عاد فسوف تتحسن حالى يا دكتور ، لم يكن لى أن أزعجك . لقد كنت حمقاء ، اذ عندما اكون وحدى تردعلى خاطرى آراء غريبة ! .

ونظرت المرأة العجوز اليه نظرة صارمة حجرية ونسى انه كان مرتديا جوربه وبدون ربطة عنق وان شعره منفوش .

— أنا آسفة يا انطوان لا تنزعج ، فى الساعة الثالثة من صباح اليوم شعرت بضعف شديد وخشيت أن أموت ، فاتصلت تليفونيا بالدكتور بورجوا ، لن يحدث شىء مكدر يا انطوان ، بل لقد تحسنت صحتى فعلا ، وسأستطيع النهوض حالا وأعتنى بك . اليس كذلك يا دكتور ؟ .

وهز الطبيب رأسه .

— لماذا ؟ .

— لأنك فى حاجة شديدة الى الراحة التامة فى الفراش مدة أربعة ايام أو ثلاثة على الأقل ، وبعد ذلك نرى .  
— ولكن اذا كانت النوبة قد انتهت ؟ .  
ووقف وربت بأصابعه على كتفها قائلا :

— التزمى الهدوء حتى أصرح لك بالنهوض من الفراش ؟ وستعنى بك مدام أرنو كما ستعنى بشقتك . أليس كذلك يا مدام أرنو ؟ .

— سأفعل ذلك بالتأكيد من أجل السيدة المسكينة .

ونظر الطبيب الى انطوان كما لو لم يكن قد قابله من قبل وأشار اليه أن أخرج من الغرفة ، ودخل معه غرفة المكتب حيث كان حذاءه ملقى على الأرض بحسب ما اتفق ! .  
— أرنى معصمك .

ولم يحاول انطوان الاحتجاج وامسك الطبيب ساعته وأخذ يمد النبض بشفتيه فى همس .

- سامر وأنا فى طريقى بالصيدلية ، وسيرسلون لك بعض الاقراص لزوجتك وبعض المساحيق لك،وعليك أن تذيب المساحيق فى الماء ، وأنصحك بالكف عن شرب القهوة ، وخير لك أن تنام طوال النهار!

- وزوجتى ؟

- دعها لشأنها . لقد كادت حياتها تنتهى فى الليلة الماضية وكلما قلت رؤيتك لها كان هذا افضل ، وستقوم بدمام أرنو بتمريضها .

ووضع قبعته على راسه ومضى نحو الباب .

- الا تزال حالتها خطيرة يا دكتور ؟

- ستظل طوال حياتها فى خطر .

- بسببى ؟

وترك الطبيب الشقة بدون أن يرد عليه وضغط على زرالمصعد وعندما حاول انطوان دخول غرفة النوم اصطدم بدمام أرنو التى دفعته الى الخارج !.

- انتظر لحظة ، سأسمح لك برؤيتها دقيقة واحدة بشرط أن تحتفظ بالهدوء والا تقول شيئا من شأنه أن يثيرها ، سيبهجها أن تراك بدون أن تسمع منك كلاما ، هل اتفقنا ؟

وفهم أنه كان عليه أن يقبل أو ان يرفض وأنه لم يعد المسيطر على بيته .

ماذا يمكن أن يقول لجولى ؟ واقترب من الفراش فى خجل وأمسك اليد التى بسطتها نحوه فى ضعف . وظل خافضا رأسه أكالنائب من ذنب جناه ! ولا بد أن منظره كان وقتئذ مثيرا للشفقة لأن الدموع انهمرت من عينى زوجته واختنقت عباراته وخشى أن ينخرط فى البكاء وتلعثم بسرعة !.

- سامحيني !.

وهمست له قائلة ؟

- قبلى .

وانحنى فوقها ليلمس بجبينها بشفتيه ، وسببت له هذه  
الأنحناء دوارا واضطر الى بذل بعض الجهد حتى استطاع ان  
يمدل قامته ، وكانت تفوح من جولى ومن كل ما يحيط بها رائحة  
منفرة ، ولابد ان يكون الطيب قد اعطاها عقارا لتهدئة الاعصاب  
ولهذا كانت شبة ذاهلة بعيدة جدا .  
وأشارت مدام ارنو اليه بأن يتبعها .

— ليس هناك داع لازعاجها بدخول الحمام . وبعد ان تناول  
أقراصها سوف تنام ، وتستطيع أنت الاغتسال فى المطبخ وحاول  
ان تفسل فمك وأسنانك ان رائحة الخمر تفوح من فمك بصورة  
بشعة !.

ولم يحتج على قولها اذ كان يشعر أنه مستحق هذا الزجر  
والتعنيف ، وتقبل هذه الاهانة على أنها قصاص عادل ، بل لقد  
تمنى أن لو كان القصاص أشد عنفا !.  
— ماذا قالت فى الليلة الماضية ؟

— هل تظن أنها كانت فى حالة تسمح لها بالتحدث فى متاعبها؟  
وشعر بضعف مركزه وكأنه طفل فقال : .. لا اعرف مكان  
أقرشاة الاسنان .

وأدخلته الى دولاب المطبخ وهناك كانت فرشاة الاسنان  
والموسى وفرشاة الحلاقة والصابون والمنشفة ، وكان الروب على  
مقعد وتحت المقعد شيشبه ، ولم يحاول ان يعلق ذقنه لأنه كان  
هاجرا عن مثل هذا العمل اذ كان يصاب فى صباح كل يوم كالليلة  
السابقة برعشة فى يديه ؟ وكان يحاول اخفاء يديه عن جولى  
بوضعهما فى جيبه ، وقد حدث ذات مرة ان كان لديه عمل فى  
المساء ، فظل طول نهاره فى خوف مستمر من احتمال أن تخونه  
يداه فى اثناء قيامه ببعض الالعاب واضطر الى تغيير برنامجيه .

وبعد أن ارتدى الروب سمع صوت جرس الباب وشاهد مدام  
ارنو وهى تذهب الى الباب وكان الشقة شقتها وتخرج من جيبها  
النقود لتقدمها لعامل الصيدلية .  
وقالت له :

- أخذَ علاجك انتِ أولاً حتى تنتهي منك . .  
وصبت المسحوق في الماء وقلبتَه وتصاعدت منه بعض الغازات  
- استند على ، واذهب الى فراشك ، من التاجر الذي يبيع لك  
اللحم ؟ هل هو تروفو ؟ .  
واوما برأسه بالايجاب .

- ارجو ان تدفع له حسابه حتى يلبي الطلبات ، انتظر حتى  
أخرج التليفون .

وأخرجت التليفون الى الصالة ووضعتَه على مقعد .  
ورأى الحقيبة على الأرض وعندئذ فقط تذكر ان حقيبته الأخرى  
قد سرت وشعر بالضيق أكثر لفقد الحقيبة .

كان هذا أول حدث من نوعه يقع له ، اذ لم يسبق له ان نسي  
او فقد شيئاً له صلة بعمله ، وخطر له احتمال ان يكون داجوبر هو  
الذي سرقها ولو حدث هذا منذ بضعة أشهر لكان فيه خطر شديد  
وهو كشف أسراره اما الآن فان الأمر لا يهمه .

وفكر في الدواء الذي وصفه له الدكتور بورجوا الذي لم يشأ  
ان يقول له شيئاً عنه .

وعندما استيقظ وجد مكتبه مظلماً ، ورأى من النافذة الفتيات  
القيحات الوجوه اللاتي يعملن عند حائكة الثياب .

وخرج من المكتب بدون صوت ، وسمع صوت مدام ارنو في  
المطبخ تفسل شيئاً في الحوض .

- كيف حالها ؟ .

- لقد اكلت بعض الطعام وهي الآن نائمة .

- ألم تسأل عنى ؟ .

- انه يسرك ان يكون لديها شيء يشغلها ، اليس كذلك ؟ كل

الرجال في هذا سواء .

- ماذا قلت لها ؟ .

- ان صوت شخيرك يبلغ عنان السماء وان رائحة الخمر تصل

الي الشارع ! سأعد لك بعض الطعام بعد قليل ،

ولم يدرك ماذا يفعل ؟ ثم سألها :

– متى أستطيع الكلام معها ؟  
– هل لديك كلام هام تريد ان تقوله لها ؟ والان خذ حقيبتك  
هذه واذهب بعيدا عن المطبخ فهو لا يتسع لى ذلك .

وعجيب انطوان من هذه المرأة ومن شدة وثوقها بنفسها وكأنما  
هى فى بيتها ! .

وتذكر أنه كان عليه ان يودى برنامجا فى مدرسة بعد ظهر  
اليوم التالى والحقيبة المفقودة تحتوى على اهم أدوات ذلك البرنامج .  
ولكنه يستطيع تدبير امره على كل حال ، ولكن الحقيبة نفسها ! لقد  
كانت جزءا من حياته وقد تعودها والف وجودها معه . لقد كان  
هو نفسه السبب فى ضياعها ! .

ولو برئت جولى فى صباح اليوم التالى لاستطاع ان يذهب معها  
الى سوجون العجوز فى شارع سان مارتن الذى يمر الناس بمتجره  
فلا يخطر ببالهم أنهم يمرون بأعجب مكان فى العالم .

ففى هذا المتجر شعور مستعارة ولحى مستعارة وثياب مسرحية  
للأوبرات العالية والمسرحيات التاريخية وأتوف صناعية وأسنان  
صناعية وكثوس يستحيل الشرب منها وكثير من أدوات التسلية .

ومع ذلك فهذا المتجر يرتاده السحرة والحسوة والأجانب  
لا مجرد الرغبة فى الحصول على هذه الأشياء ، بل مجرد الشراء من  
سوجون العجوز الذى كان بلحيته البيضاء كأنه ساحر قديم يبسدى  
النصح والإرشاد بحديث عذب خلاب ! .

وكان له ابن يشبهه كل المشابهة غير ان لحيته لا تزال سمراء  
وهو ينتظر دوره لكى يصبح ساحرا أو كاهنا للسحرة ، فهل  
يستطيع انطوان أن يعترف لهما بأن حقيبتة سرقت ؟ هذا غير  
معقول ! لأن سوجون العجوز سينظر الى يديه ويجدهما مرتعشتين  
اذ لا بد من أن تستمر هذه الرعدة يومين آخرين .

لم تكن هناك جريدة ولا أى شىء يقرؤه فى الشقة ، وهو فى  
بيته يعامل على أنه شخصية معيبة ، وفى غد سيضطر الى مواجهة  
سوجون العجوز . والصداع يشتد عليه ، وبدا له الضوء الآتى من

مضايح الشارع باردا قاطعا كالسكين ، ومع ذلك فهناك المئات أمام  
بحوانيت هدايا أعياد الميلاد ينتظرون دورهم لشراء هداياهم .

واحس بأنه أشد حاجة الى جولى من حاجتها هي اليه . انها  
تعرف ذلك ولهذا فهي لا تريد أن تموت وان لم تعترف بذلك ، كانت  
تستشير الدكتور بورجوا بدون علمه وتقوم بعلاج نفسها دون أن  
تشغله بأمرها .

ومع ذلك ظل ساعات وهو مقتنع بأن جولى تأمرت مع الدكتور  
بورجوا وبأنهما استدعيا مدام أرنو عن قصد .

ولو كانت جولى فى حاجة حقيقية الى ممرضة لتعنى بها دونه  
لثبت بذلك أنه وحش قاس جدير بالاحتقار لانه يقتل زوجته على  
مهل قتلا بطيئا وأنه سعيد لأن الناس لم يتهموه بضرب جولى كما  
اتهموا داجوير بذلك .

وما كان الأمر ممكنا ان يستمر على هذا النحو الى الأبد ، ولن  
يستطيع المضى فى التيه فى ذلك النفق المظلم كما وقع له فى الحلم .

لن يستطيع الاستمرار فى هذا اللون من الحياة مع جولى وكلاهما  
مشدود الأعصاب ، انه سيعمل على توضيح حقيقة موقفه من جولى  
مرة كل اسبوع على الأقل ، وبذلك يمكن أن يتم التفاهم بينهما  
بدلا من هذه الاهانات والتجريح ، انه يؤلمها ويجرحها ثم يؤلم نفسه  
ويجرحها ، وكثيرا ما يدفعه هذا الى تمنى ضرب الجدار برأسه !.

فهل مرجع هذا انه لا يشعر أنه فوق أرض ثابتة فيعمد الى  
العودة الى الشراب ؟ لم يعد فى حاجة الى فرقة زناد ، ان الرغبة  
فى الشراب أصبحت تواتيه كلما خرج وحده ، ولو خرج كل يوم .

انه هو الذى يسبب الاجهاد له ولجولى فيقف كل منهما فى  
مواجهة الآخر لا يجدان شيئا يقولانه ، وغالبا ما يندفع كلاهما بين  
ذراعى الآخر ويكيان ثم تقول جولى :

— سنحاول ثانية يا انطوان يا حبيبي !.



ولم تكن تعرف ان هذه العبارة كانت تحكى الكثير ، لماذا تقول  
منحاول ثانية ؟ لانها كانت تعرف ان هذا مستحيل !.

اذن ففى لم تكن تؤمن به ، بل كانت تثرى له ، ولم يكن فى  
بحاجة الى رثاء بل الى فهم والى حب حقيقى ، كان فى حاجة الى ان  
تحبه كما هو لا كما تريده ان يكون، ولو احبته كما يريد لها ان تحبه  
ما أصبحا فى هذا الشقاء ، لانها كانت ستفهم انه يعطيها أفضل ما  
يمكن ان يعطيه رجل !.

وأخيرا سمع مدام ارنو تقول لجولى بصوت عال قليلا :

– تستطيعين رؤيته ولكنى لن أسمح له بالبقاء طويلا فأفضل  
شيء له ان ينام هو الآخر .

وكانت مدام ارنو قد رتبت شعر جولى ونشرت عليها ماء  
الكولونيا فجلست جولى فى فراشها متوردة الخدين وهى مرتدية  
قميص النوم الخاص بالمناسبات، وشعر انطوان بأن جولى قد احمر  
وجها خجلا عند دخوله وكأنما كان ذلك منها شعورا بالذنب ،  
وسألته بسرعة :

– هل تناولت عشاء طيبا ؟ .

– نعم .

– ان مدام ارنو أفضل منى فى طهى الطعام . وهذا أمر شعرتنى  
بالخجل .

وظلت مدام ارنو بالباب حتى لاتدع لهما فرصة الانفراد كل  
بلاخر .

– اظنك ستنام على الأريكة ؟ .

– نعم .

– لا أدري بوع الدواء الذى يقدمه الطبيب لى ، ولكنى انام فهل  
تنام أنت الآخر ؟ .

– لقد نمت أغلب النهار نوما عميقا .

وابتسمت ونظرت الى مدام ارنو :

– هل تقبلنى ؟ .

وفى هذه المرة اقتربت منه .

– الست غاضبا منى حقا ؟ .

وكان هذا متعبا له ، ولما عاد الى مكتبه كانت يدها منقبضتين  
وكان جسده كله متوترا من فرط الاجهاد العصبى وشعر برغبته فى  
العراء ورفع عينيه الى السقف ككلب يعوى للنجوم .

## الفصل الثانى

وقى اليوم التالى اقترب من حانوت سوجون العجوز وهو قى  
وجل من هذه المقابلة ، وعندما اصبح على قرب خطوتين من الحانوت  
اكاد يتراجع ولكن حالما دخل من الباب فوجيء بشيء لم يكن له  
يه عهد ، قابلته فتاة عصرية متزينة وسألته :

— اى خدمة ؟ .

— هل مسيو سوجون موجود ؟ .

— مسيو هيكتور سوجون .

— بل الأب سوجون .

وبينما كان يتبادل هذا الحديث لمح سوجون فى الغرفة الخلفية  
منحنيا فوق مكتب يرجع عهده الى تاريخ انشاء الحانوت منذ  
ثلاثة اجيال .

وقال وهو يمضى نحو الرجل :

— انه يعرفنى .

هل عرفه الرجل العجوز ؟ ان كان قد عرفه فان هذا لم يظهر

قى طريقة تحيته .

— هل تذكرنى ؟ .

واوماً الرجل برأسه علامة الايجاب ولكن فى غير اهتمام .

— لقد سرق بعضهم حقيبتى الصغيرة وفيها معداتى وانا فى

حاجة الى بضعة اشياء ! .

— سيعنى ابنى بك بعد عودته من مكتب البريد .

وجاء الابن وكان هو الآخر قد تغير ويحاول ان يبدو صقياً

السن وذهبت عن هذا الحانوت قدسيته ، وهذا امر آلم انطوان

ايلا ما شديدا اكثر مما تألم من اى شيء آخر . ووضعوا له الاشياء

اللى اشتراها جانيا . وانتهت الصفقة فى اقل من ساعة وهو الذى

كان يقدر ان تستغرق طوال النهار . ووجد نفسه فى الشارع ، ولم يشعر بأية رغبة فى ارتياد أى بار ، وعاد الى بيته .

ولما دخل البيت وجد المرأتين يتحدثان بأصوات طبيعية ، وحالما علمتا بوجوده خيم الصمت على البيت ، وكاد أنطوان يقسم على أن جولى كانت تخاف ان تبدو صحيحة الجسم ، وكانت مدام أرنو تصوب اليها نظرات ذات معنى .

– هل عثرت على ما كنت تبحث عنه ؟ .

– كلا .

– ألا تبلغ البوليس ؟ .

وأراد أن يفيد من عودته مبكرا فحزم ادواته وارتدى سترته المخملية .

– الا تقبلنى ؟ .

– كنت على وشك ذلك ،

– لقد كان الطيب هنا .

– وماذا قال ؟ .

– أن كل شىء يسير على نحو مرضى ، وسيسمح لى بمبارحة الفراش فى غضون يومين ، وقد سأل عن صحتك .

ودخل مكتبه وأخذ يتدرب على اللعب بالأدوات الجديدة ، ومرت مدام أرنو أمام الباب المفتوح وبدأ من ملامحها شىء من العجب من أن يلعب رجل مثله هذه الألعاب الصيانية .

وكانت مدام أرنو تعيش من تريض المرضى ويبدو من مظهرها وسلوكها أنها لا تهتم بالذين تمرضهم أى اهتمام شخصى لأنها تعيش على مأسى الآخرين وهى تنتقل من مأساة الى مأساة ومن عناء الى عناء وهى تدخل متاعب الناس بثقة هادئة ، بل بمتعة تعيش على مرضهم ودموعهم ومتاعبهم !

وقالت له مدام أرنو :

– ان الطعام معد فى المطبخ .

وذهب ليأكل لأنه أمر بأن يأكل وأصرت مدام أرنو على أن تقوم على خدمته ، وكان هذا جزءا من عمل مدام أرنو الذى تقوم به بحماس شديد .

— أظنك ستعود عقب الانتهاء من الحفل مبكرا؟  
ونظر إليها فى دهشة وهى مستمرة فى حديثها:

— انى لا أقول هذا بدافع الاهتمام بك شخصيا ، وأرجو أن تعرف ذلك عن يقين ، ولكنى مسئولة عن هذه المرأة المسكينة ، وأسمح لى أن أقول لك : انك اذا تأخرت استعنت بالبوليس فى احضارك ولن يتأخر البوليس فى معاونتى مع رجل مثلك !.

ولم يرد ، وكانت راضية عن نفسها راضية عن رؤيته وهو شاحب اللون فى ذلة واللحمة تقف فى حلقه ، ووجد أنطوان راحة وهو يقول لنفسه : ان هذا هو ما كان يفعله لجولى ، وعندئذ ابتسم .

— هل انت فاهم؟

— نعم فاهم !.

— وليس هناك داع لان تكلمها قبل خروجك ، وان تعدها وعودا لانفى بها ولم تعد هى تصدقها ، وتكرار مثل هذه الوعود إجهاد لها .

وقالت له جولى فى حذر:

— الساعة الرابعة؟

— نعم الرابعة تماما ، والمواعيد فى المدارس غاية فى الدقة ، وكان من المفروض أن أكون هناك قبل نصف ساعة على الأكثر .

وقبل زوجته وحيا مدام ارنو وخرج .

خرج واتم حديثه اليهما بينه وبين نفسه .

— لانتخافى يا جولى ولا تخافى يامدام ارنو انتما الوائقتان من كما لكما !. سأعود الى البيت فور انتهائى من عملى كائى رجل صالح آخر سأقوم فى الحياة الواقعية بدور تمثلى وسأشترى لكما بعض الحلوى وستأكلانها وانتما تتبادلان النظرات والابتسامات !.

ولكن هل هكذا يجب أن يكون عليه سلوكه حتى تصدقا انه

وجلّ ؟ انه يعرف انه ليس رجلا ، فهو يعرف الان ماذا يساويه  
الرجل ، لاشيء مطلقا .

فالمهم هو أن يمثل الدور في الحياة كما هو ممثل على المسرح ،  
وعندئذ تصبح جولى سعيدة ، أما بالنسبة اليه فأى فارق هناك  
مادام هو فى داخله لن يتغير بل سيبقى على ما هو عليه ، أى لاشيء .  
- فراغ يا عزيزتى جولى .

- سأقول لك انى أحبك وانت تحبيننى وكل شى انما هو  
للافضل ، وعندما تتحسن صحتك سنذهب الى السينما وتناول  
العشاء فى مطعم ..

وفى تلك الليلة عاد مبكرا الى بيته .

ونادته جولى فى مرح :

- هل هذا انت يا أنطوان ؟ .

ونظرت اليه نظرة القلقة المتلهفة . واستطاع أن يقىب عن بصرها

عشر دقائق ليتيح لنفسه خمس جرعات من الشراب .

وكان فى مظهره مابعث الطمأنينة الى نفسها . ولم يههما ماتصم

رجوانحه مادام هو غير مخمور . ولاحظت عليه احضاره الحلوى .

- ماكان يجب أن تشتري هذه .

ورفعت صوتها قائلة :

- مدام ارنو تعالى وانظرى ، ماذا جاء به زوجى .

وحاول أن يضبط نفسه .

### الفصل الثالث

انقضت ثلاثة عشر يوما لايقرب الخمر . وسارت حياته طوال

هذه الأيام على نحو صامت بلا أسى وبلا بهجة وكأنه راهب فى دير ،

ولم تكن به اية رغبة فى الشراب وتعهد أن يمر على أبواب البارات

المفتوحة وعلى شفثيه ابتسامة ساخرة ! .

واقنع بأن جولى مريضة عندما صرح الطبيب لها بالنهوض

بشرط الابقاء على مدام ارنو بضعة أيام اخرى ، أما قبل ذلك فقد كانت

متوهما أنهم يبالفون فى وصف حالة جولى لانارة عطفه أو

تخريفه .

وقى أولُ يومِ جلست فيه فى قرفة المائدة وتنقلت فى أنحاء الشقة - سارت الأمور فى البيت على أحسن حال ، بل لقد زارته فى غرفة مكتبه بلباقة التى لا تريد ازعاجه أو ارباكه أو حرمانه من شئ من الحرية التى استعادها على حين كانت هى فى فراشها .  
وأصبح كلاهما يعنى بشعور الآخر ، وشاب علاقتهما الخجلُ الذى كان له سحره على حين كانت مدام أرنو تقوم بدور الحارسة .

وفى اليوم التالى ذهبت مدام أرنو لشراء بعض الحاجات من السوق ، وكانت جولى فى الحمام تتزين ، وكان انطوان جالسا فى مقعده يقرأ جريدته فى غرفة المائدة ويدخن سيجارته ، وكانت السماء ملبدة بالغيوم .

وعلى حين فجأة اثار انتباهه هذا السكون المطبق وخيل اليه انه قد انقضى دهر منذ دخول زوجته الحمام ، ومع ذلك انتظر خمس دقائق اخرى على سبيل الحيلة .

ومضى نحو الحمام وفتح الباب عليها ، وكانت واقفة ويس عليها صوى ملابسها الداخلية .

وقال لها :

- ماذا بك ؟ .

ثم لاحظ شدة شحوب لونها ! .

- سأستدعى الطبيب .

ولم يكن ذلك تهديدا ، بل كان خائفا عليها حقا ، وأشارت اليه بيدها الا يستخدم التليفون ، ثم حاول أن يقيس نبضها ولكنها بعدته عنها بركة وعدوبة كما لو كانت تعتذر عما سببته له من أزعاج .

وشعر بالأسى وهو فى وقفته تلك لايمك مساعدها أو حتى الابتعاد عنها ، وليس أمامه الا الانتظار حتى تمر الأزمة بسلام ؟  
فتنهدهنهد الارتياح وهو تنهد قد أفته انطوان .  
- لا تنزعج بانطوان فقد حذرني الطبيب .

وتذكرت ففطت صدرها واستعادت حياءها كما كان عهده بها دائما .

- يستغرق تأثير الحبوب بعض الوقت ، وعندما اشعر بقرب  
الآزمة أخذ حبة ، وليس ذلك خطرا ، قال الطبيب لى ذلك وقال : انى  
سأشعر فى كل مرة كانى اقارب الوفاة !. أنت شاحب اللون يا حبيبى  
أنطوان !.

ولم يشأ أن يحدث مدام أرنو فيما حدث ، وانتهاز فرصة راحة  
جولى بعد الغداء وذهب الى عيادة الدكتور بورجوا ، ولم يجده ،  
وكان أنطوان متعاقدا على العمل فى حفل يبدأ فى الساعة الثامنة  
لحساب جمعية خيرية محلية .  
وفى المساء زار الطبيب مرة اخرى وقال له : - لقد رجيت  
بشأن زوجتى .

- اعتقد أنك بدأت تقلق بشأنها .  
- هل حالتها خطيرة يا دكتور ؟.

- عندها شبه تصلب فى الشرايين ومع التصلب يصيبها تقلص  
مما يجعل حركات القلب عسيرة ومؤلمة ، وكانت الآزمة التى أصابتها  
فى الليلة الماضية خطيرة ، وقد تعيش زوجتك شهورا أو أعواما دون  
أن تعود إليها هذه الآزمة .

ثم قص أنطوان عليه ما حدث ذلك اليوم .  
- ليست هذه أزمة وستكرر لها حدوث مثل ما حدث صباح  
اليوم ولا بد ان تعود الحياة مع هذه الأعراض التى تعرض لها ، وقد  
وصفت لها بعض الحبوب التى تقضى على الألم فى بضع دقائق .  
وعندما تخرج من البيت يجب أن يكون معها بعض هذه الحبوب .  
- هل من المحتمل أن تعيش طويلا ؟.

- لا يستطيع أى طبيب أن يرد على هذا السؤال ، وكل ما  
استطيع قوله لك : هو أن أى انفعال خطر عليها وهى فى حاجة الى  
حياة هادئة منتظمة وكثير من الراحة وعدم الثورة ، وقد نصحتها  
بإستخدام امرأة للتنظيف بعد ذهاب مدام أرنو .  
- لم تذكر ذلك لى .  
- يجب ألا تقوم بأى عمل مجهود ومن وإجبك أنت ضمان  
هدوتها .

وقى ذلك المساء لم تجرؤ جولى على أن تسأله عن سبب المبالغة  
فى رفته نحوها أكثر مما تعودته منه ، ولكنه كان يعرف أنها لاحظت  
الفارق ، ومع ذلك فقد كان حديثه خاليا من الحرارة ، وكان من  
الصعب تفسير ذلك . كان يحبها ويرثى لها وكان يقول لنفسه :  
انه من المحزن أن يموت المرء فى مثل سنها ، وعندئذ أحاطها بالرعاية  
والانتباه والاهتمام بشعورها ومع ذلك ظلّ خاليا من الدافع الصادق .  
وساورها الشك عندما عرض لموضوع استخدام امرأة لتنظيف  
الشقة .

– هل أقنعتك مدام أرنو بذلك ؟ انها شديدة الاشتغال بى ولا  
تريد أن تقتنع بأنى قضيت طوال حياتى اعمل ، وانى قد أموت  
اذا كففت عن العمل واضطرت للجلوس بلا عمل ! .

ورد عليها كما يرد المرء على المرضى واختلق شتى المعاذير  
والاسباب ، وفى اليوم التالى عرض للموضوع نفسه فى حضور مدام  
أرنو ، فوعده بالبحث عن امرأة للقيام بهذا العمل .

وكان اسم هذه المرأة أوجينى وهى أرملة رجل مطافىء تعيش  
بمعاش ضئيل ، وكان ابنها الذى لا يصلح لشيء يأخذ منها كل مال  
يصل الى يدها أو يبيع بعض اثاث البيت القديم أن لم يجد لدى أمه  
مالا .

وكانت أوجينى تقول عن ابنها فى استسلام من لا تملك للأمر  
بحيلة :

– انه سيبيع قميصى يوما ما ، فقد باع ساعة أبيه لأحد أصدقائه  
ولكن والدى المشتري ردا الساعة الى ، غير أن هذا لم يحل دون أن  
يبيعها مرة أخرى بعد عامين !

ولم تكن أوجينى غاضبة ولا كانت تعتبر نفسها منكودة الحظ .  
وشعرت جولى بالراحة وبدأت الخروج مع أنطوان ، وكانت  
النوبات تأتيها أحيانا وهى جالسة الى المائدة . فتقوم الى المطبخ  
كما لو كانت تريد أن تأتى بشيء ما . فإذا لم تعد بسرعة انتظر قليلا  
أقبل أن يلحق بها حيث يجدها فى تلك الوقفة المعتادة وتشير اليه  
وأجبة أن يستأنف تناول الطعام ! .



أحس انطوان انه يعيش على أطراف أصابعه وقى وسسند  
كل هذه الاضطرابات كانت تسأله :

- أرجو الا تكون قد مللتنى يا انطوان .

وكان هذا السؤال يقطع قلبه كما لو كان سكيننا !.

وكانت تحاول أن تشغله بتسلية ما وكانت مدام أرنو تزورها  
يوميا تقريبا وتنظر اليه متعجبة من أنه لم يعد يشرب ! وكان انطوان  
يلاحظ كل شيء وكل حركة تصدر من مدام أرنو أو من جولى أو  
تبادلها المراتن الى درجة انه أصبح مستطيعا أن يتبع خط تفكير  
جولى .

انقضت ثلاثة عشر يوما برح فيها الشقة خمس مرات بدون  
زوجته الى عمله ، وفى كل مرة عاد مبكرا وانحنى فوقها وقبلها حتى  
تطمئن الى أنه لم يشرب ، وكان اقلعه عن الخمر سهلا الى درجة  
أثارت دهشته هو نفسه ، وكل ماكان يتطلبه هو الا توجه الى نفسه  
أى أسئلة ، حقا تخيل أن الحياة أصبحت مملة كثيبة بعض الشيء  
ولكنها كانت مقبولة .

واعد لها هدية عيد الميلاد : قطعة أثرية ربما كانت علبة نشوق  
لتضع فيها جولى حبوبها التى كانت تأخذها معها فى خروجها !.

وفى ليلة عيد الميلاد خرجا لحضور صلاة منتصف الليل ورآها  
انطوان تصلى بشفتيهادون أن يخرج منها صوت ، وتأثر بهذه الصورة  
فاخذ يصلى هو الآخر .

وحسد جولى على تساميتها ولم تكن هذه الحالة حالها فى  
البيت مما دله على أن دوره فى حياتها أقل مما تزعم هى ومما  
يعتقد هو .

لماذا لم تكن فى هذه الراحة النفسية فى اثناء وجوده ! لم  
يكن مبعث هذه الراحة مجرد الخلاص من التوتر العصبى ، بل كانت  
فى ملامحها مسعادة يحيط بها التسامى وفى عينها نشوة .

كان يذكرها فى توترها ولكن فى ظروف مختلفة وذلك عندما  
كانت تمسك به متوسلة اليه الا يتركها . أما هنا فقد كان الشعور  
المسيطر عليها عكس الخوف ، وقد أزعجه هذا الشعور لدرجة أنه

عند خروجهما لم يجد شيئاً يقوله لها ، وشعر بالارتباك وهو يمسك ذراعها كما لو لم يكن واثقا من أنها زوجته .

وكادا يصطدمان خارج الكنيسة بمخمور فاقتربت جولى من انطوان .

وقال لها بلهجة ادهشته هو نفسه ما فى نبراتهما من صدق :  
- أحبك ..

وردت عليه هامسة كأنما تفضى اليه بسر :  
- وأنا أحبك يا انطوان أكثر مما تظن ! .

ودخلا مطعما وترك معطفه فى غرفة المعاطف ، أما جولى فلم تكن مستطبعة التخلّى عن معطفها لشعورها الدائم بالبرد .

وكان انطوان قد حجز لهما مائدة فى هذا المطعم من قبل . وكان مكتوبا على كأس الشراب اسم كل منهما .

وبينما كانا يأكلان تذكر الهدية فى جيب المعطف وكان فى نيته أن يقدمها لها بهذه المناسبة ، مناسبة عيد الميلاد ! لقد كان أول عيد ميلاد يحتفلان به فى مطعم ، وخطر له أن يذهب لاحضار العلبه ، ولكنه آثر أن يؤجل هذا الى مابعد تناول الحلوى .

ولم يدرك أن الشراب كان ضمن قائمة الحساب التى دفعها مقدما فى أثناء حجز المائدة ، وجاء خادم المطعم وفتح زجاجة الشراب ونظر انطوان الى جولى نظرة مطمئنة ، وبعد أن ذهب الخادم قالت جولى :

- اشرب كأسا فلا بأس فى ذلك .

- كلا ليس فى نيته أن المسها من أجلك .  
ثم قالت جولى :

- ان المطعم مزدحم جدا بالناس .

- نعم . وسأخلع عنك معطفك .

- لا أدرى أين أضعه .

- أعطينى اياه يا جولى وسأحمله الى غرفة المعاطف .

وخطر بباله أنها نظرت اليه فى قلق ، وحاول ان تيدو ملامحه

خالية من أى تعبير الا التعبير الذى يصور زَوْجا مهتما بزوجه ،  
وساعد جولى فى خلع معطفها وذهب به الى غرفة المعاطف  
وسلمه للفتاة المكلفة بحراسة المعاطف ، وقدم لها نمرة نحاسية تحمل  
رقم ١٧ وكانت هذه النمرة خاصة بمعطفه ، وكان يريد أن يأخذ  
المعطف لحظة واحدة ليأخذ من جيبه الهدية ، ثم يرده من ثم لولان  
الفتاة قالت له :

– هل ستخرج الآن مبكرا من المطعم ؟  
ورأى نفسه أوتوماتيكيا يلبس معطفه ويمضى مسرعا لا يسمع  
الفتاة وهى تقول :  
– والقبعة ؟

وخرج من المطعم كمن يهرب من كارثة وأسرع فى الطريق  
وهو ينظر الى كل حانة تقابله معتقدا أنه سيستطيع العودة بسرعة  
من أية نقطة يصل اليها ، وكانت الحانات مغلقة ، وما كان منها  
مفتوحا كانت به بوادر شجار حتى وجد حانة منزوية فى شارع  
إجانبى ضيق فدخلها ، ورأى بعض الناس جالسين وظهرهم الى  
الجدار على حين أن هناك آخرين يستندون بمرافقهم الى منصة  
البار ، ولم تكن الاضاءة تيسر للمرء أن يعرف : هل الوقت ليل أو  
نهار ؟

وطلب كأسا كبيرة :

وكان فى عجلة من امره فأفرغها فى جوفه مرة واحدة ومسح  
أفمه بمنديله ، وليس فى نيته أن يطلب كأسا أخرى ، ولكن عينيه  
انجبتها بالرغم منه الى اعناق الزجاجات وهى تطل من حوض الزنك!  
وشهد وجها واحدا يعرفه هو وجه بائعة الزهور العجوز وكانت  
يجالسة الى منضدة وامامها زجاجة ضخمة من النبيذ الأحمر وامامها  
رجل يصفرها سنا .

ونظرت المرأة اليه بعينين مثقلتين بالنعاس وفيهما شئ من  
الدهشة وهى تستذكر ماضيا بعيدا جدا ، ثم هزت كتفها وعادت  
الى غيبوبتها .  
ولم يرفع البارمان عينيه عن انطوان وهو يكاد يتلقف منه الكلام

أقبل أن يقول في لهفة واضحة ، وطلب انطوان كأسا ثانية فثالثة .  
ولم يعد انطوان الى المطعم حيث ترك زوجته وأخرج من جيبه العلبة  
الفضية ونظر اليها بعينين لاتعيان شيئا .  
ولم يشأ أن يعود الى بيته فالوقت في رأيه لا يزال مبكرا لايسمح  
بالعودة الى البيت ، وقرر أن ينام أولا ثم يذهب بعد ذلك ولكن أين  
ينام ؟ .

وسأل البارمان :

— هل يعرف غرفة يستطيع أن ينام فيها ؟ .  
وذهب البارمان الى امرأة كانت جالسة مع امرأتين في مؤخرة  
الحانة . وأخذت النسوة الثلاث يتحدثن معا وهن يفحصن انطوان  
بنظراتهن .

وأخيرا جاءت أحدهن نحوه وهى تنفث دخان سيجارتها امامها  
وسألته :

— هل أنت الذى تبحث عن غرفة ؟ .

قال :

— نعم . . وكان من التعب بحيث حدثته نفسه بأن يكتفى بالنوم  
على أرض الحانة ! وكان لابد من الإسراع به الى الغرفة .  
ومدت المرأة يدها فى جيبه وهى لاتتوقع منه احتجاجا وأخرجت  
منه كيس نقوده والقت نظرة على مابداخله وردته اليه راضية .

تعال معى فستدبر هذا الأمر .

وقادته الى غرفة مظلمة ولما أضاءتها كان الضوء أصفر كالحا  
ورأى فى هذا الضوء قراشا غير مرتبة مما دله على أن بعض الناس  
نسبوا أن ناموا فى الفراش فى أول الليل !  
وساعدته فى خلع معطفه .

## الفصل الرابع

كان الوقت ظهرا عندما رأى نفسه وحيدا فى شارع دمه مطهر-  
على انه فى قلب المدينة ، والشارع خال من الناس ومن المركبات ،  
والحوائيت مغلقة ونوافذ البيوت مغطاة بالستائر ، وكأنها هى مغطاة

الى الأبد ، لم يكن هناك أحد أو شيء سواه ، واستبدت به لهفة الى  
البحرى بحثا عن شيء يطمئنه الى أن العالم لم ينته بعد ! .  
وكان عنقه متجمدا يؤله وكانت هناك آلام أخسرى تخزه فى  
صدره كأنها الأبر تخرق أضلعه .

وكان نبضه سريعا ولايد له من مكان يذهب اليه ، ولم يستطع  
أن يوضح لنفسه لماذا كان فى هذه العجلة من امرأة ، فترك الغرفة  
التي كان نائما فيها هل أصابه ذعر وقتئذ ؟ .

وعندما جاءتة المرأة كان يبحث عن حوائجه وسألته بصوت  
أرجس :

- هل أنت ذاهب ؟ .

ولم تطلب اليه البقاء ولم توجه اليه أسئلة نايبة بل قالت له  
وهى لا تنتظر جوابا :

- هل تخاف زوجتك ؟ .

وعدلت له ربطة عنقه ، وأعارته مشطها الذى تنقصه بعض  
أسنانه ، ثم أخرجت كيس نقوده من جيبه كما فعلت فى الحانة ،  
وأخرجت منه ورقة نقدية واحدة فحسبب وضعتها تحت الشمعدان ،  
وأخرجت كذلك من كيس النقود صورة شمسية لأنطوان وجولى  
كان قد التقطهما لهما مصور ممن يعملون على الرصيف عندما كانا  
يتنزهان فى حديقة عامة فى السنة التى تم تعارفهما فيها . وكانت  
الصورة كالحة اللون بفعل الزمن ، ولم يجروا على انتزاعها من كيس  
النقود حتى لا يؤذى شعور جولى .

ونظرت الفتاة الى الصورة ثم نظرت اليه ، وأخيرا أعادت الصورة  
الى مكانها دون ابداء اية ملاحظة .

- هل أنت واثق من أنه يجب أن تذهب الآن ؟ .

وكانت تكلمه من أجله هو لا من أجلها هى . وأحس هو ذلك .  
- اذن فحاول أن تخرج بلا ضوضاء ، أتمنى لك حظا سعيدا .  
وتخرج من هذا المكان هاربا كما هرب بالأمس ، ولكنه فى هذه  
المرّة كان يبحث عن الجموع ، عن الحياة فى أى مظهر من مظاهرها ،  
وأخيرا قابل بعض العائلات وهن خارجيات من الكنيسة فى ثياب  
الأحد وشم رائحة بعض العطور .

وعند احدى النواحي رأى بارا كبيرا خاليا من الناس نظيفا  
ودخل البار ، وفى نيته ان يتصل تليفونيا ببيته وكان هذا هو  
الخير ما يمكن ان يفعله .

وشعر بأنه فى حاجة الى كأس شراب يناسب معدته الخاوية،  
وشرب الكأس وهو ينظر الى خياله فى المرأة وشعر أنه اصبح احسن  
حالا ومضى نحو كشك التليفون .

وأدار القرص وهو مستعد لأن يسمع أى شىء ولأن يعترف بكل  
شىء ولأن يتقبل أى خبر أو أى حكم وردت عليه مدام اربو :  
- هاللو !

- كيف حالها ؟

- أوه ! هل أنت !؟ حسنا .. انها لم تمت بعد ، ولا يرجع عدم  
موتها اليك ، اسمع ، لو كنت مكانك . . . .

وكان هناك صوت وكلمات هامسه ثم سمع صوت جولى :  
- هل هو أنت ؟

- نعم .

وساد الصمت برهة طويلة وكانت تعلم أن ينتظر منها كلاما .  
وأخيرا قالت بصوت مكبوت :

- عد الى .

ورددت هذه العبارة بصوت ينم عن عاطفة قوية .

- عد الى يانطوان ، فلن أكلّمك عن شىء ابدا .

- حسنا .

- أين أنت ؟ معذرة ، لم يكن هذا هو ما قصدت .

- لا عليك ، لست بعيدا عنك .

وأعاد السماع الى مكانها وظل لحظة وحيدا فى الكشك ثم  
عاد الى البار وقال للرجل :

- ربما كان من الأفضل أن اشرب كأسا أخرى .

وقدمت له الكأس ولم يكن فى عجلة من أمره .

ولما عاد الى البيت مر فى طريق عودته ببار آخر عند ناصية

شارع سانت هونوريه .

وقنحت مدام أرنو له الباب قبل أن يضع المفتاح فى القفل وتحاشت منخاطبته على الإطلاق ، وربما كان تصرفها هذا تنفيذا لتعليمات جولى ، واكتفت بأن نظرت إليه نظرة باردة ، لم تأت زوجته لاستقباله بل ظلت راقدة فى فراشها وسألها من يعيسد دون أن يقترب من الفراش :

- هل أنت متعبة جدا ؟

- كلا ، وأنت ؟

- سأرقد فى مكتبى .

- ألا تريد شيئا تأكله ؟

- ليس ذلك الآن .

هذه هى نفمة حديثهما فى علاقتهما المستقبلية ، يتكلمان بركة بدون كراهية أو قسوة بأصوات ينقصها الخيال !.

وفى الساعة الثالثة وبعد عفوة قصيرة سأل مدام أرنو كم سالت لو كانت قد اصبحت منذ الآن الحاكم فى البيت :

- هل يمكن أن أدخل الحمام ؟

- سأيفن أولا أنها مستيقظة ، لحظة ، نعم تستطيع أن تدخل

الحمام ، وخير لك أن تأخذ قرصين من الاسبرين .

وأطاعها واغتسل بعناية أكثر مما تعود ، وكان عنقه وظهوره يؤلمانه .

- لماذا تميل براسك ؟

- بعنقى ألم .

ولم يعرف هل استدعتا الدكتور بورجوا ذلك اليوم أو لا ؟ ولكن مدام أرنو ظلت بالشقة حتى الساعة العاشرة من صباح اليوم الثالث . ونام هو فى غرفة المكتب .

وسمعها تقول لجولى : لا تخرجى هذا الصباح ، سامر على المتاجر وأطلب منها ارسال ما يلزمك قبل الظهر ، لا تنسى ما قلت لك .

وبعد منتصف النهار بنصف ساعة جاءت جولى إليه وقالت : أن الطعام معد ، وأكلت معه وقامت من المائدة مرتين لاحضار أطباق من المطبخ ، وعندما انتهى من تناول الطعام لم يشعر بميل الى الكلام .

## ثم قال فيجأة !

- اذا سمحت لى قاتى ساخرج بعض الوقت .  
ولاول مرة لى يبحث عن عذر بل اكتفى باعلان نيته عمل  
شئ و قبلت هى منه ذلك على نحو طبيعى مما اثبت ان كليهما قد  
فهم الآخر فى اثناء الحديث التليفونى .  
- كل ما اوجوه منك هو انك اذا عدت مبكرا بعد الظهر  
فلا توقظنى لان الدكتور بورجوا يصر على ان انا من ساعتين بعد  
الغداء .

اذن فقد جاء الدكتور بورجوا ، وكانت هذه اول اشارة الى  
حالتها الصحية ولم يدخل فى تفاصيل الموضوع .  
وعند ناصية الشارع دخل البان ، وظل بكاسا من الشراب  
وكان يعرف ماذا يصنع ، ولم يكن ينوى ان يصبح مخمورا بل اراد  
ايجاد تعادل فى حالته فحسب .

وشرب كاسين واشترى الجريدة وعاد الى البيت ليقراها فى  
مكتبه وعندما سمع صوت جولى وقد استيقظت ذهب اليها وطرق  
باب غرفة نومها وقالت :  
- ادخل .

- جئت اسالك فقط : هل نمت جيدا ؟

- جيدا جدا .

ولابد انها عرفت انه شرب فهى كانت تعرفه جيدا ، ولكنها لم  
تكن تجرؤ على ابداء ملاحظات .

وخرج ثانية بعد العشاء لمدة نصف ساعة والسبب نفسه وعاد  
وهو حافظ لقواه العقلية ، ومثل هذا النظام سيصبح مقبولا وبعد  
ثلاثة ايام استطاع التحكم فى الكمية التى يشربها والتزم هذا  
القدر .

وفى الامسية الاولى التى تركتها مدام ارنو لسانتها ذهبت  
جولى لتأتى باغظيته ووسادته من غرفة المكتب ، وانما فى حجرة  
واحدة .

وفى اليوم التالى بدا عليها الانزعاج ولكنها لم تساله الا بعد  
تناول الافطار . . هل اصابته اية عدوى فى اثناء مبيته فى الخارج ؟  
ولم يفهم على الفور ماذا تقصده ؟ ففسرت له ما تقصده .



— أقصد مرحنا .  
واحمر وجهه خجلا وقال :  
— لماذا تسألين هذا السؤال ؟ .  
رفعت كم ثوبها وأرته وربما وردى اللون على جسمها الأبيض .  
وقالت :  
— ان هذا منتشر فى جميع أنحاء جسدى .

وكان قد حدث مثل هذا لانطوان منذ خمسة عشر عاما وقد  
تكلف جهدا كبيرا فى اقناعها بأن السبب فى ذلك هو البعوض ! .  
— هل أنت واثق ؟ .  
وأوما براسه ثم قال :  
— لا تخافى شيئا .  
ولم تفضب عليه بل كانت مستسلمة .

واصبح يغشى البارين دون أن يعلق على زيارتهما أية أهمية  
ودون أن ينظر الى احد أو يرقب احدا ، ثم خطر له ان الأفضل ان  
يأتى بزجاجة الى البيت ولم تعد به حاجة الى الاختباء أو الى اخفاء  
الشراب اذ أن جولى لم تعد تقول له شيئا عن ذلك أو تحاسبه  
عليه .

ووجد وسيلة لمنع الرعشة عن يديه كما وجد وسيلة اخرى  
لاستعادة الثقة بنفسه .

ولم يعد بينهما ذلك العداء القديم بل عادا الى الذهاب معا  
الى السينما بانتظام .

ولم تعد نوباته تخيفها بعد ان أكد له الدكتور بورجوا انها قد  
تستمر أعواما دون أن تسفر عن خطر ما .

ولم يعد يفكر فيما قد يكون عليه شعورها نحوه مادامت لا تتدخل  
فى شئونه ولا فيما تقوله مدام ارنو عنه فى غيبته . ولا فى نظراتها  
القاسية اليه ! وقارن بين نفسه وبين الحيوانات فى حدائق  
الحيوان وهى فى اقصاها لا تعباً بمن ينظرون اليها من رواد  
الحدائق ! .

« النهاية »





وزارة الثقافة والإرشاد القومي

# الكتاب القومي للثقافة والفنون

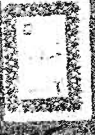


عمل على تحقيقه الشركة القومية للثقافة والفنون بالتعاون مع رجال الأعمال



# الفتاهرة

مركز عالمي للكتاب والثقافة  
كتاب كل ست ساعات



كتاب اليوم  
كتاب الغد  
كتاب اليوم  
كتاب الغد  
كتاب اليوم  
كتاب الغد



Bibliotheca Alexandrina



0540416

